



د. نبيل فاروق

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

ذئاب الجليد

فى بحار الحب أمضى كالغريب
زورق يطفو على موج شريد
ورياح الحزن تسرى كاللهيب
وجراح النفس ربان عنيد
ودروب العشق تسأل : من يذيب
نبض حب فى قلوب من جليد
(نبيل)

« رائع يا آنسة (أميرة) ..أنت بحق أكفأ رئيس قسم فى شركتنا » .

انتفخت أوداج (أميرة) ، وملأها شعور بالفخر والسعادة ، حينما هتف رئيس مجلس إدارة الشركة بهذه العبارة فى إعجاب واضح ، قبل أن يستطرد فى حماس:

ـ سأعمل على أن يناقش مجلس الإدارة تقريرك هذا ، فى اجتماع الغد بإذن الله ، ولكننى أستطيع أن أضمن لك موافقتهم بالإجماع ، نظراً لثقتهم الشديدة فى رجاحة آرائك دائماً .

وملأت ابتسامة واسعة وجهه ، وهو يصافحها فى حرارة ، مردفاً :

ـ أنت فخر لشركتنا يا آنسة (أميرة) .

صافحته (أميرة) بيد مرتجفة ، من فرط سعادتها وغمغمت بصوت ملؤه الانفعال وهى تعدل من وضع منظارها الطبى أمام عينيها ، من دون مبرر ، اللهم إلا محاولتها مداراة انفعالها :

- عملي في الشركة هو كل الفخر يا سيدي .

وأسرعت تغادر مكتب رئيس مجلس الإدارة ، قبل أن يغلبها تأثرها ، فتنهمر من عينيها دموع السعادة ، وأسرعت الخُطا إلى مكتبها الأنيق ، وهتفت في صوت صارم ، وهي تعبر حجرة سكرتيرتها ، الملحقة بحجرة مكتبها .

- لا أريد أية مقابلات خلال النصف ساعة القادمة .

وأغلقت باب مكتبها في حِدّة ، ووقفت أمامه تلهث ، وكأنها بذلت مجهوداً خرافيًّا ، قبل أن ترفع منظارها عن عينيها ، وتترك لدموعها العنان ..

كان هذا ما يصيبها دائماً ، كلما أحرزت نجاحاً جديداً ، في الشركة التي منحتها كل اهتمامها ومشاعرها منذ التحقت بها كموظفة صغيرة ، بعد تخرجها من كلية التجارة ..

وفي خطوات بطيئة شاردة ، سارت إلى حيث مكتبها ، وجلست خلفه ، دون أن تحاول تجفيف دموعها ، التي بللت وجهها ..

لم تفعل إلا حينما انتابها رغبة قوية في التطلُّع إلى مكتبها ، الذي تحفظ كل ركن فيه ، والذي يحلو لها التطلُّع إليه كرمز لنجاحها ..

وقفزت بها الذكريات إلى الوراء ..

إلى سبع سنوات مضت ..

كانت - حينذاك - في الثانية والعشرين من عمرها ، حاصلة على بكالوريوس التجارة بدرجة جيد جداً ، وكان الجميع يتوقعون قبولها لمنصب معيد في قسم المحاسبة .. ذلك المنصب الذي بات مضموناً ، بعد حصولها على درجة الامتياز في هذا الفرع من العلوم التجارية ..

ولكنها رفضت ..

كان رفضها مثيراً لدهشة الجميع ، وسبباً لحيرتهم وتساؤلهم ..

ربما لأن أحدهم لم يفهمها ..

ربما لأنهم لم يقدروا طموحها ..

صحيح أن للمنصب بريقه ، وللعمل في هيئة تدريس

جامعية رنينه الاجتماعى الأنيق ، إلا أنه لم يكن يساوى شيئاً أمام طموحها الجارف ..

لقد كانت (أميرة) تتطلع إلى ما هو أكبر من ذلك بكثير ..

لقد عاشت حياتها تتطلع إلى ذروة النجاح ..

إلى القمة ..

وكانت ترفض الارتباط بأية وظيفة روتينية ، تخضع للأقدميات والروتين ، والقواعد الجافة الجامدة.

حتى ولو كانت وظيفة جامعية ..

لقد كانت دائماً ذكية ، متعجلة ، تكره القيود والروتين ..

وربما كان هذا أحد رواسب منشئها ..

لقد نشأت (أميرة) وسط عائلة متوسطة الحال ، تحيا فى منزل متواضع بأحد أحياء القاهرة القديمة ، وعاشت حياتها وسط أسرة تقليدية ، لا تعانى شظف العيش ، ولكنها لا تستطيع الحصول على أكثر من الضروريات ..

الضروريات فقط ..

وهكذا تحيا الغالبية العظمى من عائلات مصر ، وهكذا يحيا الملايين فى مدنها وقراها ..

ولكن (أميرة) كانت واحدة من المتمردات على هذا النوع من العيش ..

كانت تتساءل دائماً : لم لا تكون واحدة ممن يعش فى الطرف الآخر من المجتمع ، حيث الثراء والنعيم ..

حيث لا وجود لذلك الخط الفاصل بين الضروريات والكماليات ، وإنما توجد فقط (مرغوبات).

حيث يقتنى الإنسان ما يرغب فى اقتنائه ، لا ما يضطر للاكتفاء به ..

ولقد حددت (أميرة) هدفها وطريقها ، وهى بعد طالبة فى السنة الأولى بكلية التجارة ..

وكانت من ذلك النوع الواقعى ، الذى يحسن تقدير إمكاناته ، واستغلالها ..

وبحسبة منطقية بسيطة ، وجدت أن الطريق الوحيد لتحقيق أحلامها هو التفوق ..

وتفوّقت ..

وحينما رفضت ذلك المنصب المضمون فى هيئة التدريس بالجامعة ، رأت الاستنكار فى عيون الجميع .

حتى والدها أعلن عن تبرمه من قرارها ، واستيائه منه ، فقد كان يأمل أن تقبل ابنته الكبرى الوظيفة ، لتحمل عنه بعض أعباء المعيشة ، وازداد ضيقه أمام إصرارها على الرفض ، دون أن يحاول مناقشة رأيها ، أو البحث فيما يختفى خلف هذا الرفض ..

الجميع عجزوا عن فهمها ، إلاّ هو ..

إلاّ (ماهر) ..

وترددت ذكرياتها لحظة ، قبل أن تهمس فى خجل :

– ربما لأنه كان يحبها ..

وتوقفت بها الذكريات عند هذه النقطة ، وانطلقت من أعماق صدرها تنهيدة قوية ، وهى تسترجع ملامح (ماهر) زميلها فى الكلية ..

كان ، حتى آخر مرة رأته فيها ، منذ ست سنوات ،

وسيماً ، أنيقاً ، على الرغم من قلة حاله ، الذى يبدو واضحاً من ثوبيه ، اللذين يبدلها طوال العام ، إلا أنه لم يفقد أبداً مظهره المهندم ، ولا أناقته ، ولا رقته وحنانه ..

كان الناظر إليه يتصور دوماً أنه هناك بحر من الحب والعاطفة ، يموج فى عينيه ، ويمتزج بلمحة حزن غامضة ..

وكان جادًّا رصيناً ..

ومنذ عرفته (أميرة) ، وحتى هذه اللحظة ، لايمكنها أن تجزم أبداً بحقيقة مشاعرها نحوه ، وإن كانت واثقة من أنه يحبها ..

كان هذا واضحاً فى معاملته لها ، وفى رقته الزائدة معها ، وفى فهمه الشديد لكل آرائها وأفكارها ..

وما زالت تذكر تفاصيل حديثهما معاً ، حينما علم برفضها للوظيفة ..

إنه يبدو مندهشاً مستنكراً كالآخرين ، بل ظل يحمل نفس ابتسامته العذبة ، وهو يقول لها فى هدوء :

- الوظيفة لا تحقق طموحاتك .. أليس كذلك ؟
أومأت برأسها إيجاباً ، فعاد يسألها فى اهتمام واضح :
- ماذا تريدين بالضبط يا (أميرة) ؟
شردت ببصرها حينذاك ، وهى تغمغم فى نشوة :
- القطاع الخاص .
ارتسمت الحيرة فى ملامحه ، وغمغم دون أن يفقد ابتسامته الهادئة :
- ماذا تعنين ؟
لوّحت بكفها ، وهى تقول فى انفعال :
- لن أصل إلى ما أطمع إليه إلا بالعمل فى القطاع الخاص ، حيث لا معيار للترقى إلا النجاح فى العمل .. حيث يمكننى أن أقفز درجات السلم الوظيفى فى سرعة ، دون أن أضطر للانتظار سنوات ، من أجل الحصول على ترقية واحدة .
ضحك وهو يقول فى حنان :
- هل تتصورين نفسك فى منصب مدير عام مثلا ؟
هتفت فى صرامة :

- ولِمَ لا ؟
ارتبك وهو يغمغم فى صوت خافت :
- سينتزعك هذا من مسئولياتك الأخرى ..
عقدت حاجبيها ، وهى تقول فى استنكار :
- أية مسئوليات ؟
تضاعف ارتباكه ، وازداد صوته خفوتاً ، وهو يغمغم :
- أعنى .. أعنى زوجك ، وأولادك فيما بعد .
فهمت ما يرمى إليه ، إلا أنها أشاحت عنه بوجهها وهى تغمغم فى قسوة :
- لست أفكر فى الزواج ، قبل أن أصل إلى ما أطمع إليه .
هتفت فى دهشة :
- مطلقاً ؟ !
أجابته فى صرامة لا تحتمل النقاش :
- مطلقاً .
خيل إليها فى تلك اللحظة أن لمحة الحزن فى عينيه قد

تضاعفت وتعاظمت ، وتحولت إلى محيط هائل متلاطم الأمواج ، وأن فيضاً منها قد انتقل إلى قلبها ..

نعم .. إلى قلبها ..

لقد شعرت لحظتها بالأسف على ما تفوهت به ، وبالندم على ما سببته له من حزن ..

ولكنها لم تتراجع ..

كان هدفها مازال يرتسم أمام عينيها ، ويملأ كيانها كله ، ويحجب عنها أية مشاعر أخرى ..

كان يضع على قلبها غلافاً جليديًّا ، يمنع عنه حرارة المشاعر والحب ..

وواصلت طريقها ، وهى تلقى عواطفها جانباً ..

وتقدمت بطلب وظيفة فى عشرات الشركات الخاصة ، ذات الأسماء التجارية الرنانة ، وجلست تنتظر ، وهى تلهث من فرط انفعالها ولهفتها ..

والتحقت بواحدة من كبرى شركات الاستثمار فى مصر ..

وتحققت الخطوة الأولى من حلمها ..

كان موقعها فى الشركة لايعدو كونه موظفة عادية فى قسم الحسابات ، ولكنها كانت تضع هدفها وطموحاتها نصب عينيها منذ يومها الأول ، فأسدلت على وجهها قناع الصرامة والجدية ، ودفعت بكل نفسها إلى العمل .. العمل وحده ..

حتى ذلك المنظار الطبى الذى تضعه على عينيها لم يكن ضروريًّا ، ولكنه كان أحد مظاهر الصرامة التى فرضتها على نفسها ، وأحاطت بها شخصيتها فى العمل ، حتى برز تفوقها ، وبات واضحاً فى الشركة ، انتقلت أخبار نشاطها ونجاحها إلى مجلس إدارة الشركة ، وبدأ حلمها يتجسم ويتضح ..

وبعد سبعة أعوام من الترقى والنجاح ، حصلت على منصب رئيس قسم المحاسبة فى الشركة ، واكتسبت مزيداً من الثقة والطموح ..

ولم تقابل (ماهر) طوال تلك الأعوام السبعة سوى مرة واحدة ، بعد تخرجهما بعام واحد ، وكانت هى تعمل فى الشركة ، وهو مازال ينتظر خطاب التعيين ،

ويجاهد فى الوقت ذاته لنيل درجة الدبلوم فى علم إدارة الأعمال ..

يومها التقيا فى حرارة ، وتبادلا حديثاً قصيراً ، ثم انصرف كل منهما إلى طريقه ، ولكنها لن تنس أبداً نظرة الحب العميقة ، التى تكونت فى عينيه ، حينما وقعتا عليها ..

لن تنساها أبداً ..

ولا حتى لمسة أنامله لكفها ، وحرارتها ودفئها ..

لن تنس لحظة لقائهما تلك أبداً ..

وفجأة انتزعها من ذكرياتها أزيز جهاز الاتصال الداخلى ، فعقدت حاجبيها فى غضب ، وصاحت عبر جهاز الاتصال فى صرامة :

– ألم أطلب عدم مقاطعتى طوال نصف ساعة ؟

أجابها صوت سكرتيرتها فى ارتباك :

– لقد مضت أربعون دقيقة .

أدهشها استغراقها مع ذكرياتها طوال هذا الوقت فتنحنحت لتسترد صرامتها ، وهى تقول :

– ماذا تريدين ؟

أجابتها سكرتيرتها فى تلعثم :

– هناك رجل يطلب مقابلتك و ...

قاطعتها فى حزم :

– هل لديه موعد سابق ؟

– لا .. ولكنه يؤكد ضرورة مقابلتك .

– أهو أحد العملاء ؟

– لا .

– من هو إذن ؟

جاءت إجابة السكرتيرة لتبعث فى جسدها قشعريرة قوية ، وتلهب نهر ذكرياتها المتدفق ، حينما أجابتها فى اهتمام :

– لست أدرى .. كل ما يقوله هو أن اسمه (ماهر عبد الله) .

• • •

٢ ـ لقاء الذكريات ..

تصلبت (أميرة) لحظة ، وقد أخذت المفاجأة بجوارحها ، فسمّرت أطرافها ، وحبست الكلمات فى حلقها ..

لم تتصور أبداً أن يعود لرؤيتها بعد كل هذه السنوات ..

أن يتذكرها بعد طول فراق ..

وانطلق ذهنها يستعيد صورته فى لهفة ، بوجهه الوسيم المستطيل ، وشعره الناعم القصير ، الذى يصففه فى أناقة وعناية ، وعينيه الدافئتين السوداوين ، وفمه الصغير ، وطابع الحسن الذى يتوسط ذقنه ..

وسرت فى جسدها قشعريرة عجيبة ..

قشعريرة هى مزيج من اللهفة ، والدهشة ، والقلق ..

وتحولت قشعريرتها إلى رجفة ، حينما انتبهت إلى صوت سكرتيرتها ، وهى تردد فى اهتمام وقلق :

– هل أسمح له بالدخول يا سيدتى ؟!

هتفت فى لهفة :

– بالطبع .

ثم أسرعت تلتقط منظارها الطبى ، وتضعه على عينيها ، وهى تتطلّع إلى باب حجرتها فى ترقّب ، حتى رأته يفتحه ، ويعبره فى هدوء ، وابتسامته العذبة الهادئة تزيّن شفتيه ، وتضىء وجهه ..

وارتجف جسدها ، وأعماقها تهتف فى دهشة : كم تغيّر ؟

إنه ما زال وسيماً ، وإن بدا أكثر نحولا ، فى حين سرّى بعض الشيب فى فوديه ، فزاد من وسامته التى تضاعفت بحلته السوداء الأنيقة ، ورباط عنقه الذى اختاره فى عناية وذوق ..

هو أيضاً رآها مختلفة ، وهو يتطلع إلى وجهها البيضاوى الجميل ، وعينيها الخضراوين ، اللتين تختفيان خلف منظارها الطبى ، الذى لم يخف اتساعهما وجمالها ، وإلى شفتيها الرقيقتين ، وشعرها المقصوص خلف رأسها ، ليمنحها مظهراً يفوق عمرها بعشر سنوات على الأقل ..

وران عليهما صمت طويل ، وكلاهما يتأمل فى وجه الآخر فى لهفة وحنان ، قبل أن يهمس هو ، وابتسامته تزداد تألقاً :

- كيف حالك ؟

هتفت فى حرارة ، وهى تنهض من خلف مكتبها ، وتمد يدها لمصافحته :

- كيف حالك أنت ؟

تقدم منها فى خطوتين واسعتين ، وتصافحا ..

لم تكن مجرد مصافحة عادية ، وإنما كانت بثّاً عاطفيّاً ، سرى من كف كل منهما إلى جسد الآخر ، ليمنحهما رجفة لذيذة ، طال اشتياقهما لها ..

وتعانقت عيونهما ، وظلت أصابعهما متشابكة ، والصمت يلفهما فى حنان ، حتى شعرت (أميرة) بالارتباك ، فجذبت أصابعها من كفه فى رقة ، وأشارت إلى المقعد المقابل لمكتبها ، وهى تقول فى صوت خافت :

- اجلس يا (ماهر) .. زيارتك تسعدنى جداً ..

ابتسم وهو يجلس فى هدوء ، ثم دار ببصره فى أرجاء مكتبها الأنيق ، وقال :

- يبدو أنك قد حققت بعض طموحك يا (أميرة).

أومأت برأسها إيجاباً ، وهى تقول :

- نعم .. أعتقد ذلك .

كانت تريد الاكتفاء بهذه العبارة المقتضبة ، إلا أنها وجدت نفسها تستطرد فى اهتمام ، وكأنه يهمها جداً أن يعلم (ماهر) كل شىء عنها :

- إننى الآن رئيس قسم الحسابات هنا ، وأمتلك سيارة صغيرة ، ولكنها جديدة ، وأقيم فى شقة أنيقة فى حىّ (المهندسين) .

اتسعت ابتسامته فى حنان ، وهو يقول :

- أنت تستحقين ما هو أكثر من ذلك يا (أميرة) .

عاد الصمت يغلفهما لحظات ، ثم سألته هى :

- وماذا عنك ؟ .. هل حصلت على الدبلوم ؟

أومأ برأسه ، وهو يقول فى هدوء :

- نعم .. ولكنه لم يحقق ما كنت أطمح إليه .

سألته فى مزيج من الدهشة والاهتمام :

— كيف ؟

تنهد ، وهز كتفيه على نحو يوحى بالإحباط ، قبل أن يقول :

— يبدو أننى كنت شديد المثالية ، حينما تصورت أن الحصول على مؤهل دراسى أعلى ، سيتيح لى مزيداً من فرص العمل ، حتى أننى لم أكد أحصل عليه حتى تصورت نفسى أضع أول خطواتى على سلم النجاح .

وعاد يتنهد فى عمق ، فسألته بمزيد من الاهتمام :

— وماذا حدث بعد حصولك على الدبلوم .

ابتسم ابتسامة باهتة ، أعادت إلى عينيه لمحة الحزن ، التى تذكرها جيداً ، وهو يستطرد فى هدوء :

— لقد تبدت لى — حينذاك — حقيقة عجيبة من حقائق مجتمعنا بعد الانفتاح .. فوجئت بأن التقييم العلمى لم يعد يكفى للنجاح فى هذه الأيام ، بل لقد تراجع كثيراً أمام التقييم المادى والاجتماعى .

ثم تطلع إليها ، وهو يردف فى هدوء :

— ولقد استطعت أنت الحاق بآخر فرصة للعمل فى شركات الاستثمار يا (أميرة) ، فحينما أتممت أنا الحصول على الدبلوم ، بعد ذلك بعامين ، كانت فرص العمل فى القطاع الخاص قد تضاءلت كثيراً ، وأصبح من العسير على شخص عديم الخبرة أن يحصل على عمل فيها ، وهكذا وجدت نفسى حاملا للدرجة الدبلوم ، ومتعطلا عن العمل .

تجلت نظرة أسف وإشفاق فى عينيها ، فأطلق ضحكة قصيرة ، وهو يتابع :

— كانت الأمور شديدة التعقيد والصعوبة فى العام الأول ، بعد حصولى على الدبلوم ، فلم يكن لى مورد للرزق ، وكانت عائلتى فقيرة كما تعلمين ، وكاد اليأس يقتلنى تماماً ، حتى وصلنى خطاب القوى العاملة .

قلبت شفتيها ، وهى تقول فى استنكار :

— القوى العاملة ؟ !

هز كتفيه ، وهو يبتسم قائلا :

— كانت الوظيفة الحكومية هى الأمل الوحيد — آنذاك — وكان علىّ أن أتشبث بها، حتى يتأتى مورد رزق آخر ، وكان المرتب الذى أتقاضاه يكاد يكفى ضروريات الحياة ، ولكنه كان يسعدنى ؛ لأنه على الأقل يكفى لرفع عبء الإنفاق علىّ عن كاهل أسرتى ، ثم إن حياتى فى أسرة فقيرة جعلتنى أحسن إنفاق دخلى ، حتى أننى نجحت فى ادخار بعض المال لشراء قميص جديد ، وسروال أنيق ، لأضيفهما إلى ملابسى القديمة ، وسارت الأمور على هذا النحو لعام آخر ، وأنا أواصل السعى بحثاً عن موارد رزق أخرى ، حتى حصلت على عمل إضافى فى متجر صغير ، كان دخله يصل إلى ضعف مرتبى ، وكنت أدخره كله ، وأبذل جهداً مضاعفاً للعمل ، والأسعار من حولى ترتفع فى جنون ، إلى أن انقشعت الغمة فجأة .

تنهد وهو يشرد ببصره ، وكأنما يستعيد تلك الذكريات ، ثم عادت ابتسامته إلى شفتيه ، وهو يستطرد :

— وحصلت على عقد للعمل فى المملكة العربية السعودية ، وتقدمت بطلب إجازة من عملى ، ولكنهم رفضوا ، فلم يكن أمامى إلا الاستقالة من عملى الحكومى والسفر إلى (السعودية) ، وهناك تسلمت عملى الجديد، وأغرقت نفسى فيه ، فراراً من ذلك الشعور الرهيب بالوحدة ، الذى ينتاب المرء هناك ، طالما هو عَزَب، وبلا أصدقاء ، وبمرور الوقت كوّنت عدة صداقات هناك ، بين المصريين ، وبعض السعوديين ، إلاّ أن الشعور بالغربة لم يفارقنى قط ، على الرغم من نجاحى فى العمل ، وتضاعف مرتبى ودخلى ، بعد ثلاث سنوات ونصف السنة من العمل هناك ، وذات يوم ، وعلى الرغم من كل هذا ، قررت العودة إلى مصر بصفة نهائية .

وقلب كفه ، وهو يردف بابتسامة عذبة :

— لم أدر لحظتها لماذا قررت ذلك ، بكل هذا الحماس ، وعلى الرغم من محاولة الجميع إقناعى بالعدول والاستمرار فى العمل هناك ، وأمام إصرارى على

العودة رضخ الجميع ، وأخبرنى مدير الشركة هناك أنه مستعد لإعادتى للعمل وقتما يحلو لى ، وشكرت له ذلك، ثم أسرعت أركب أول طائرة ، وأعود إلى مصر فى لهفة عجيبة .

وضحك قبل أن يتابع :

— وعلى أرض مصر ، استيقظت فى صدرى عدة أسئلة ، لم أنتبه إليها وسط حماسى للعودة .. صحيح أننى عدت بمبلغ محترم ، يكفى لشراء شقة أنيقة ، وتأثيثها ، والحصول على سيارة جديدة ، إلا أننى لا أملك عملا ، أو مورداً للرزق ، هى نفس المشكلة التى غادرت من أجلها مصر فى البداية .

ابتسمت (أميرة) لضحكته الصافية ، ومدت أصابعها دون وعى ، فنزعت عن عينيها ذلك المنظار الطبى ، ووضعته على سطح مكتبها ، واكتسى وجهها بحمرة الخجل، حينما لاحظت تطلُّع (ماهر) إلى عينيها الخضراوين فى شغف ، وارتجفت حينما سمعته يقول فى نشوة :

— يا إلهى !! .. لِمَ تخفين هاتين العينين الساحرتين خلف ذلك المنظار الطبى يا (أميرة) ؟

أسبلت جفنيها فى خجل ، وانتابتها نشوة جارفة ، وهى تشعر بكلماته تتسلل إلى أعماقها ، وتوقظ أنوثتها ، التى حرصت على إخفائها خلف ذلك الحاجز الجليدى، منذ اختارت لنفسها ذلك الطريق الشاق ، وغمغمت فى حياء ، دون أن تحاول إخفاء ابتسامة السعادة ، التى تألقت فوق شفتيها الجميلتين :

— إننى أحتاج إليه للقراءة .

التقط منظارها الطبى فى هدوء ، ورفع عدساته إلى عينيه ، ثم ابتسم وهو يعيده إلى سطح المكتب ، ويتمتم فى هدوء :

— لا أظن ذلك .

ضحكت ، وهى تغمغم فى خجل :

— ولكننى أحتاج إليه .

وفى محاولة منها للفرار من خجلها ، عادت تسأله فى اهتمام ، وإن ظل صوتها خافتاً :

- ماذا فعلت بعد عودتك ؟.. أعنى بشأن العمل .

خيّل إليها أنه قد فهم محاولتها ، حينما اتسعت ابتسامته ، وهو يجيب :

- لقد بحثت عن وظيفة فى إحدى شركات الاستثمار . بعد أن أصبحت أحمل شهادات خبرة مناسبة ، حتى وجدت وظيفة صغيرة فى واحدة من تلك الشركات ، بمرتب يكفى لحياة معقولة ، وفرصة جيدة للترقى مع النجاح فى العمل .

عقدت حاجبيها ، وهى تسأله فى اهتمام :

- أية شركة هذه ؟

ضحك وهو يقول :

- هنا .. لقد أصبحت موظفاً فى قسم الحسابات ، الذى ترأسينه يا (أميرة) .

امتقع وجهها واتسعت عيناها مع عبارته الأخيرة ، وتضاربت فى أعماقها أمواج الحنق والحيرة والتوتر ..

إنه لم يأت خصيصاً من أجلها إذن ..

إنه لم يسع لرؤيتها بالذات ..

وشعرت وكأن ذلك الستار الجليدى يعود ليسدل على قلبها ومشاعرها ، وكأن إحباط العالم كله قد ملأ جوارحها ونفسها ..

وفى حركة آلية ، التقطت منظارها الطبى ، ووضعته على عينيها ، وهى تقول فى برود :

- فى هذه الحالة الأمر يختلف يا أستاذ (ماهر) .

تطلّع إليها فى دهشة ، وهو يغمغم :

- ماذا أصابك يا (أميرة) ؟ .. لقد كنا ..

قاطعته فى صرامة وحِدّة :

- إننى لا أمنح أى موظف فى القسم أكثر من عشر دقائق يا أستاذ (ماهر) ، وهذا ينطبق على الجميع بلا استثناء .

هتف فى دهشة :

- (أميرة) ؟ !

قاطعته فى حِدّة :

- خاطبنى بلقب (رئيس القسم) ، أو (الآنسة أميرة) ، فهكذا يخاطبنى كل موظف هنا .

احتقن وجهه ، واتسعت عيناه فى دهشة ، فى حين أطرقت هى برأسها ، وتظاهرت بمراجعة بعض الأوراق ، وهى تقول فى صرامة عنيفة :

ـ اذهب إلى مكتبك يا أستاذ (ماهر) ، فمن الخطإ أن يضيع أى موظف فى الشركة وقته فى حديث شخصىّ ، ومع رئيس قسم بالذات .

انطلق الغضب عنيفاً فى أعماق (ماهر) ، ونصب قامته فى اعتداد ، وهو يقول فى صرامة مماثلة :

ـ آسف يا رئيس القسم ، فعقد عملى مع الشركة يبدأ صباح الغد ، وليس اليوم .

ثم استدار فى حِدّة ، واتجه إلى باب حجرتها فى خطوات سريعة ، وفتحه ، ثم استدار إليها ، وقال فى برود صارم :

ـ وسأتذكر كل التعليمات .

ثم أغلق الباب خلفه فى قوة ، وكأنما يُغلقه فى وجه كل معرفتهما ومشاعرهما السابقة .

* * *

٢ ـ صراع قلب ..

دلفت (أميرة) إلى شقتها الأنيقة ، وأغلقت بابها خلفها فى عنف ، ثم أضاءت الردهة ، ووقفت تتطلع إليها فى شرود ، وكأنها تراها لأول مرة ، ثم نزعت منظارها الطبى ، وألقته فوق أريكة الردهة فى إهمال وحنق ، وعادت تتطلع إلى المكان ، وكأنما ظنت أنها ستراه على نحو مختلف دون المنظار ، إلا أن الرؤية بدت مهتزة ، حينما اغرورقت عيناها بالدموع ، وانحدرت على وجنتها دمعة ساخنة ، أسرعت تزيلها فى حِدّة ، وهى تندفع إلى حجرة نومها ، وتلقى جسدها فوق الفراش ، دون أن تنضو عنها ثوبها ، أو ترتدى منامتها .

وأسرعت دمعة ساخنة أخرى تتبع الأولى ، ثم لم تلبث الدموع أن بللت وجه (أميرة) ، دون أن تحاول محوها هذه المرة ..

تركت لدموعها العنان .. ربما لأول مرة فى حياتها كلها ، وتركت نفسها تنتحب ، وهى تسترجع لقاءها مع (ماهر) ..

لقد شعرت بسعادة غامرة ، وهى تتأمله يخطو إلى مكتبها ، بعد كل سنوات الفراق ، وشعرت بقلبها يخفق حيًّا بين ضلوعها ، بعد أن تصوَّرت أنه لن يعود للحياة أبداً ، منذ غلفته بذلك الغلاف الجليدىّ البارد ، وذاب الجليد كله حينما تصافحا ، ومسَّت أنامله أناملها وتصوَّرت أنه جاء يخطب وُدَّها ، بعد أن استقر به الحال ، وبلغت هى بعض أحلامها وطموحاتها ...

ثم فوجئت به يعلن أنه يعمل موظفاً لديها ..

لقد حطم هذا سعادتها ، وأوقف خفقات قلبها ، وأعاد الغلاف الجليدىّ إلى قلبها أكثر سمكاً من ذى قبل..

ولكن لماذا ؟ ..

لماذا شعرت بكل هذا ؟ ..

ألأنه صدم مشاعرها ؟ ..

عادت تسترجع كلماته ، وحنان نظراته ، ودفء لمساته ، وشعرت أنها أخطأت ..

لماذا تصوَّرت أن عمله تحت رياستها ، يقيم بينهما حاجزاً ؟..

لماذا تصوَّرت أنه لم يعد يحبها كذى قبل ؟

لقد كان حبه واضحاً فى كل لمحة من لمحاته ..

فى كل نظرة ..

فى كل لمسة ..

فلماذا واجهته بكل هذه القسوة والصرامة ؟..

نهضت لتجلس على طرف فراشها ، وهى تلوم نفسها على ما فعلته ، وقد بدا لها تصرفها معه شديد التعنُّت والعنف ..

لقد اعتادت التعامل مع الجميع فى صرامة ، حتى أنها فعلت ذلك مع الرجل الوحيد ، الذى خفق له قلبها ..

توقفت أفكارها عند هذه النقطة ، وعادت تتساءل ..

هل تحب (ماهر) حقاً ؟..

ولأول مرة فى حياتها ، اعترف قلبها بالحقيقة ..

إنها تحب (ماهر) ..

تحبه منذ كانا زميلين فى كلية التجارة ، ولكن

طموحها الشديد كان يخفى عنها هذه الحقيقة ، ويغلفها بذلك الغلاف الجليدىّ السميك ..

لقـد كان طموحها يقهر مشاعرها ، ويخفيها ، خوفاً من أن تقهـره هى ، ولكن ما من شك فى أنها تحب (ماهر) ، فلقد رفضت الزواج من عشرات ممّن تقدموا لطلب يدها ؛ لأنها كانت تقارن كلاًّ منهم بـ (ماهر) ، وفى كل مرة كان (ماهر) ينتصر ، فترفض هى الزواج ، وكأنها تنتظره ..

ست سنوات ، وهو يحيا فى عقلها ، وفى قلبها ..

ست سنوات ، وهى تتمنى رؤيته ، وتكتم هـذه الأمنية فى أعماقها ..

وها هو ذا قد عاد ..

عاد لتحطم هى أحـلام ست سـنوات ، فى موجة غضب وعناد ..

وازداد انهمار الدموع من عينيها ، وهى تعضّ شفتها السفلى فى قهر وندم ، ثم نهضت فى بطء ، ووقفت تتطلع إلى وجههـا فى مرآة حجرة نومها ، وبدت لهـا

ملامحها كئيبة ، صارمة ، على الرغم من الدموع التى تبلل وجهها ، فظلت أناملها تجفف دموعها ، ثم رفعت مشبك شعرها ، وتركته ينسدل كنهر حريرى أسود على كتفيها ، وخيل إليها أن هذا التبديل الصغير قد أعاد إلى وجههـا جماله وتألقه ، وأعاد عمرها إلى أوائل العشرينات .. إلى آخر لقاء لها مع (ماهر) ..

وتساءلت فى حزن : ترى ماذا يفعل الآن ؟ .. وماذا يظن بها ؟ ..

ولو قدر لعقلها أن يتجاوز حاجزى الزمان والمكان ويغوص فى عقل (ماهر) وقلبه ، لتضاعف حزنها ، وتزايد شعورها بالألم والندم ..

لقد فوجئ (ماهر) ، حينما علم أن (أميرة) هى رئيسة القسم الذى سيعمل فيه ، ولكن هذه المفاجأة لم تفجّر فى أعماقه إلا مشاعر الفرح واللهفة ، وأسرع إلى مكتبها ليقابلها ، ويطفئ نيران شوقه إليها ..

هو أيضاً لم ينسها لحظة واحدة طوال هذه السنوات الست ..

لقد كانت (أميرة) دوماً حلماً يتلهّف إليه ، ويراود خياله بلا كلل أو ملل ..

لقد عرفها فى الكلية كزميلة وصديقة ، ثم تطوّر إحساسه بها ، وإعجابه برصانتها وتهذيبها ، إلى حب جارف ، ملك مشاعره كلها ؛ حتى غرق فيه تماماً ، وكاد يصارحها بحبه أكثر من مرة ، إلا أن إحساسه بفقره ، وعدم قدرته على الزواج ، منعاه ، وجعلاه يتراجع فى كل مرة ، وهو يدعو الله أن تشعر هى بحبه دون الحاجة إلى كلمات ..

ويوم رفضت وظيفة هيئة التدريس أراد أن يصارحها بمشاعره ، ولكنها صدمته حينما قالت إنها لا تفكر فى الزواج ، قبل أن تحقق ما تصبو إليه ، وتركته حزيناً بائساً ، يحاول جاهداً الإفلات من سجن الفقر ، حتى يمكنه مصارحتها بحبه ..

وأخيراً تحقق له نصف الحلم ..

فرّ من قضبان الفقر ، وأصبح مستعداً للزواج ، واشترى تلك الشقة الأنيقة وهو يحلم بأن تكون عش

زواجهما ، واكتفى بتأثيثها بسرير صغير ، وصوان للملابس ، ومائدة للطعام ، وبعض الضروريات ، وكأنه ينتظر حتى تختار هى أثاث الزوجية بذوقها الخاص ..

وبات يحلم بها ، وقرر ألاّ يبحث عنها قبل أن يجد وظيفة مناسبة ، وهو يحارب فى كل لحظة ذلك الخوف الذى داهمه ، من أن يجدها زوجة وأمّا ..

وعثر على الوظيفة ، وعثر عليها فى لحظة واحدة .

وكانت سعادته لا توصف ، حينما علم أنها لم تتزوج بعد ، وهرع إليها وهو يمنّى نفسه برؤيتها ، ومصارحتها بحبه ، وطلب الزواج منها ..

وكان لقاؤهما يوحى بالبهجة والأمل ؛ وهى تستقبله فى لهفة لا تقل عن لهفته لرؤياها ، وبسعادة أنعشت الأمل فى قلبه ، وجلس يقص عليها ما حدث له منذ آخر لقاء لهما ؛ وهو ينوى ختام قصته بطلب الزواج منها ..

ولكنها صدمته ..

مزّقته ..

حطّمت أحلامه ، وآماله ، ومشاعره فى قسوة شديدة ..

لم يصدّق أن هذه الفتاة الصارمة القاسية ، هى نفسها (أميرة) ، التى أحبّ رقتها ونعومتها من قبل ..

وعاد إلى شقته ، وأثاثها البسيط ، وهو يحمل فى أعماقه مزيجاً عجيباً متناقضاً من اليأس والغضب والصلابة والضعف ..

وفكر طويلا فى أن يترك تلك الوظيفة ، ويترك الشركة كلها ، بل فكر جديًّا فى العودة إلى عمله فى (السعودية) ، إلاّ أن عناده أبى عليه أن يستسلم ويتراجع بعد أن حصل على الوظيفة المناسبة ..

صحيح أنه يحب (أميرة) ، ومازال يحبها على الرغم مما فعلته معه ، وأنه لن يحتمل أسلوبها الجاف فى التعامل معه ، وهى ترأس القسم الذى يعمل فيه ، إلاّ أنه لن يتنازل عن البقاء إلى جوارها ، ورؤيتها فى كل يوم ..

مازالت رؤيتها تبهج قلبه، على الرغم من كل شىء .

وهذا هو الحب الحقيق ..

الحب الذى يتجاوز كل الحواجز والعقبات ..

الحب الذى يتخطى كل المشاعر الأخرى، ويقهرها إلى جواره ..

إن قلبه مازال يحمل دفء الحياة والحب ، لم يغلفه جليد قاس كقلب (أميرة) ..

جليد زائف يحمل اسم الطموح ..

ولم يستمر صراع قلبه طويلا ..

وقرر أن يبق .. وأن ينجح ..

• • •



١ - اليوم الأول ..

بدأ (ماهر) أول أيام عمله فى الشركة ، واحتل مكتباً ضمن أربعة مكاتب ، فى حجرة أنيقة من حجرات الطابق الثالث ، حيث قسم المحاسبة ، واستقبله زملاؤه الثلاثة فى حرارة وترحاب ، أزالا ذلك القلق الذى انتابه ، حينما دلف إلى مبنى الشركة فى الصباح ..

كانوا رجلين وفتاة فى الخامسة والعشرين ، ولقد استقبله الرجلان بابتسامة هادئة ، وتمنى له أكبرهما (حسام) أن يجد الراحة فى عمله ، فى حين ضحك الثانى (أيمن) فى مرح ، وهو يحذره من صرامة (أميرة) رئيسة القسم ، أما الفتاة (كوثر) فقد بدت شديدة الرقة ، وهى تبتسم فى وجهه ، وترحب به فى الحجرة ، بل إنها أسرعت تزيل الغبار عن سطح مكتبه ، وهى تدعوه لاحتلاله ..

وسرعان ما ربطت الألفة بينهم بعد ساعة واحدة ، فأخذوا يتبادلون الحديث كما لو كانوا أصدقاء قدامى ، وانتهز (ماهر) الفرصة ليسأل (أيمن) فى اهتمام :

- هل الآنسة (أميرة) صارمة إلى هذا الحد ؟

ضحك (أيمن) ، وهو يقول :

- بل هى الصرامة نفسها ، ويخيل إلىّ أحياناً أنه ينقصها شارب كثّ ، لتصبح مديراً للشركة .

ضحكت (كوثر) فى خجل ، فى حين أسرع (حسام) يقول :

- ولكنها مخلصة ونشيطة ، والجميع يؤكدون أنها تستحق منصبها عن جدارة .

غمغمت (كوثر) ، وهى تختلس النظر إلى ملامح (ماهر) الوسيمة ، وأصابعه الخالية من خاتم الزواج .

- إنها جميلة ، ولكنها تهمل ارتداء ثيابها ، والعناية بمظهرها .

ابتسم (ماهر) ، وهو يقول فى هيام :

- رياسة القسم لا تحتاج إلى الجمال .

فاجأهم صوت صارم يقول فى حدّة :

- هذا صحيح .

شحب وجه (كوثر) ، وهى تنكمش فى مقعدها.

وارتبك (أيمن) وهو يجذب بعض الأوراق أمامه ، فى محاولة للتظاهر بانهماكه فى مراجعتها ، فى حين هب (حسام) واقفاً فى احترام ، وأدار (ماهر) عينيه فى هدوء إلى حيث تقف (أميرة) ، التى استطردت فى حزم :

— وقت الشركة لا يكفى لتبادل الأحاديث الشخصية أيها السادة .

أجابها (ماهر) فى برود ، يحمل رنة التحدى :

— كان لابد من تعارفنا فى أول أيام عملى هنا .

ضايقتها لهجته ، وقد جاءت خصيصاً لرؤيته ، فأشاحت عنه بوجهها ، وأفرغت غضبها فى وجه (كوثر) ، وهى تهتف فى حدة :

— هل أنهيت التقرير الذى طلبته منك يا آنسة (كوثر) ؟

تلعثمت (كوثر) وهى تقول ، ممسكة بالتقرير المطلوب :

— سأنهيه بعد لحظات يا سيدتى .

صاحت (أميرة) فى غضب :

— أما كان ينبغى أن تحاولى إنهاءه ، بدلا من إضاعة الوقت فى حديث تافه ؟

ازداد شحوب وجه (كوثر) ، وارتجف صوتها ، وهى تغمغم :

— إنه يحتاج إلى بعض الحسابات التى لن تستغرق سوى ..

قاطعتها (أميرة) ، وهى تلوح بذراعها فى غضب :

— أريده على مكتبى بعد خمس دقائق و ...

وفجأة بترت (أميرة) عبارتها فى دهشة ، فقد نهض (ماهر) فى حركة حادة ، والتقط التقرير من يد (كوثر) ، وعاد به إلى مكتبه ، وأخرج قلمه لينهى الحسابات المطلوبة ، وساد صمت مشوب بالدهشة والتوتر داخل الحجرة ، قبل أن تهتف (أميرة) فى خفوت :

— ماذا تفعل ؟

أجابها فى برود ، ودون أن يرفع عينيه عن التقرير :

- سيكون على مكتبك بعد خمس دقائق ، كما طلبت يا سيادتى .

ظلت (أميرة) تحدق فى وجهه لحظة ، ثم استدارت وغادرت الحجرة ، دون أن تتفوه بكلمة واحدة ، وإن بدا غضبها واضحاً فى خطواتها العصبية السريعة ، وظل الصمت الثقيل يخيم على الحجرة لحظات بعد انصرافها ، والجميع يحدقون فى وجه (ماهر) ، وقلمه الذى يجرى على الأوراق فى هدوء ، ثم غمغم (أيمن) فى خفوت :

- كيف فعلت ذلك ؟

أجابه (ماهر) فى هدوء :

- فعلت ماذا ؟

تبادل الثلاثة نظرات الدهشة ، ثم غمغمت (كوثر) فى رقة وامتنان :

- هل فعلت ذلك من أجلى ؟

ابتسم (ماهر) فى هدوء ، ثم قال وهو يعيد قلمه إلى سترته :

- لقد انتهى التقرير على أية حال .

لم يكد يتم عبارته حتى جاء عامل القسم ، وقال لـ (ماهر) فى بساطة :

- السيدة رئيسة القسم تطلبك يا أستاذ (ماهر) .

تبادل (حسام) و (أيمن) و (كوثر) نظرات القلق ، فى حين نهض (ماهر) فى هدوء ، وهو يقول :

- سأذهب إليها على الفور .

ولم يكد يغادر المكتب حتى التفتت (كوثر) إلى (أيمن) ، وغمغمت فى قلق :

- لماذا تريده فى ظنك ؟

هز كتفيه ، وهو يغمغم فى قلق مماثل :

- لست أدرى ، ولكنها غادرت القسم فى غضب واضح .

وانحنى (حسام) على أوراقه ، وهو يقول فى أسف :

- يبدو أن عقد الأستاذ (ماهر) لن يستمر هنا طويلا ..

وهذا بالضبط ما كان يتوقعه (ماهر) ، حينما ذهب إلى مكتب (أميرة) ، ولقد أعطته سكرتيرتها الانطباع نفسه وهى تتطلع إليه فى قلق ، حينما عبر الباب الفاصل بين حجرتها وحجرة (أميرة) ، فى حين احتفظ هو بهدوئه ، وهو يخطو إلى حجرة (أميرة) لثانى مرة فى يومين متتاليين ..

كان ينوى مواجهتها فى برود وصرامة ، إلا أن رؤيته لها وهى تتطلع إليه فى حزن ، محا من نفسه كل صرامتها وبرودها ، وجعل قلبه يخفق بحبها ، الذى لم يغب عنه أبداً ، فاقترب من مكتبها فى بطء وعيناه تعانقان عينيها الحزينتين ، ثم دفع التقرير أمامها ، وهو يغمغم فى صوت خافت :

— ها هو ذا التقرير .

أزاحت التقرير جانباً ، وهى تسأله فى حزن :

— لِمَ فعلت ذلك يا (ماهر) ؟

شعر بالحزن يقطر مريراً من كل حرف من حروف كلماتها ، فأطرق برأسه ، وهو يغمغم فى ألم :

— لست أدرى .. أسلوبك الصارم دفعنى لذلك .

ترقرقت الدموع فى عينيها ، وهى تقول :

— أسلوبى ؟! .. إننى أدير قسماً كاملا يا (ماهر) وهذا هو الأسلوب الوحيد الذى يصلح لذلك .

آلمته دموعها ، فأطرق برأسه ، وهو يغمغم فى ندم :

— هل يمكننى أن أعتذر ؟

تنهدت ، وهى تتمتم :

— لست أطلب اعتذاراً يا (ماهر) ، أريد منك أن تفهمنى .

احتواها بعينيه الدافئتين ، وهو يقول فى همس حنون :

— ساعدينى على فهمك يا (أميرة) .

خلعت منظارها الطبى ، لتسمح لدموعها بالانحدار على وجنتيها ، وهى تسأله فى حزن :

— هل أبدو لك غامضة إلى هذا الحد ؟

شعر بدموعها كسياط من لهيب ، تهوى على قلبه فى قسوة ، فغمغم فى ألم :

– بل متناقضة .

مالت نحوه ، وهى تتمتم فى صوت أقرب إلى الضراعة :

– كيف ؟

أجابها فى صوت خافت حنون :

– إنك تبدين لى أحياناً مثالا للرقة ، وأحياناً أخرى رمزاً للصرامة والقسوة .

أطرقت برأسها ، وهى تغمغم فى ألم :

– ستفهم سر هذا التناقض يوماً ما .

تطلّع إلى وجهها يلتهمه بعينيه فى شغف ، وهو يشعر بنبضة جديدة تتسلل إلى نبضات قلبه ، وقد خيل إليه أنه يفهم مغزى عبارتها ، وراودته رغبة جارفة فى أن يلتقط يدها الرقيقة فى راحته ، ويشبعها تقبيلا ، واعتراه الارتباك إزاء هذه الرغبة ، فأشاح بوجهه ، وهو يغمغم :

– ثم إن أسلوبك فى معاملة الموظفين هنا ..

مست عبارته جرحاً فى أعماقها ، وأطلق عنادها فجأة ، فصاحت فى حِدّة :

– أنا لا أسمح لك بتقييم أسلوب معاملتى لموظفى قسمى .

تحولت مشاعره كلها إلى غضب عنيف ، أمام هذا التحوُّل المفاجئ فى أسلوب حديثها ، فعقد حاجبيه وهو يهتف :

– وأنا لا أسمح لك بمخاطبتى بهذا الأسلوب .

اختطفت منظارها الطبى فى حِدّة ، ووضعته فوق عينيها ، وكأنما تستعيد به صرامتها وحزمها ، وهى تقول فى عصبية :

– سأخاطبك بالأسلوب الذى أخاطب به الجميع .

هبّ من مقعده ، وهو يقول فى صرامة :

– رياستك للقسم الذى أعمل فيه ، تسمح لك بمعاقبتى إذا ما أخطأت ، ولكنه لا يمنحك أدنى حق فى مخاطبتى بأسلوب أرفضه .

ضربت سطح مكتبها بقبضتها ، وهى تصرخ فى غضب وعناد :

– ليس من حقك الحصول على امتياز خاص هنا.

لوّح بذراعه فى وجهها بغضب ، وهو يقول :

– إنه ليس امتيازاً .. إنه أسلوب تعامل المتحضرين.

صاحت فى حَنَق :

– إنه أسلوبى، وإذا كنت ترفضه يمكنك البحث عن وظيفة أخرى ، أو ...

بترت عبارتها بغتة ، وشحب وجهها حينما تنبهت إلى خطإ عبارتها ، وإلى ثورتها المفاجئة ، التى زادت من تباعدهما ، بدلا من أن يتقاربا كما كانت تتمنى ، وازداد شحوبها وهى تتطلع فى جزع إلى احتقان وجهه الغاضب ، وكادت تتهاوى على مقعدها ، حينما أجابها فى برود صارم :

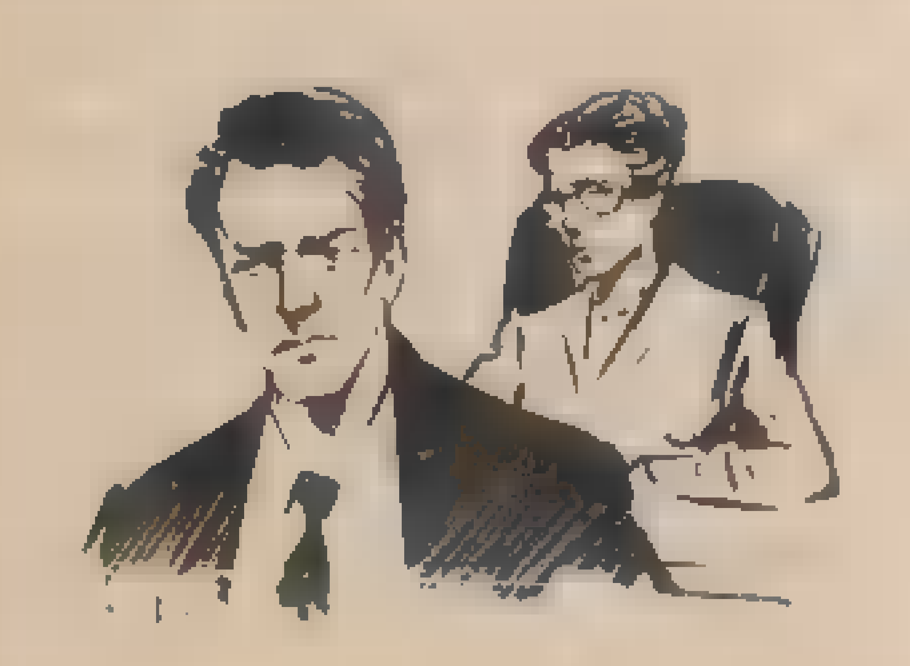
– كلاّ يا (أميرة) .. أقصد يا آنسة (أميرة) .. إننى لن أترك هذه الوظيفة أبداً ..

ثم اندفع خارج مكتبها ، وأغلق بابه خلفه فى

عنف ، فى حين تسمَّرت هى فى مزيج من الألم والذهول ، وتركت دموعها تنحدر على وجهها باردة كالثلج ، قبل أن تنهار على مقعدها ، وتدفن وجهها بين كفيها ، وهى تغمغم فى نحيب :

– لقد أفسدت كل شىء .. أفسدت كل شىء.

• • •



عاد (ماهر) إلى مكتبه ، والغضب يرتسم فى كل خلجة من خلجاته .. وتابعه رفاق حجرته بأبصارهم فى قلق وتوتر ، حتى استقر خلف مكتبه .. فمطّ (حسام) شفتيه .. ودفن عينيه فى الأوراق المكدّسة أمامه ، وهو يغمغم فى صوت خافت :

ـ كنت أتوقع ذلك .

أما (أيمن) فقد شعر بعجزه عن نطق كلمة واحدة، فاكتفى بهز رأسه فى أسف ، ثم عاد يتشاغل فى أعمال وهمية ، فى حين نهضت (كوثر) من خلف مكتبها ، وارتسمت فى عينيها نظرة حانية ، وهى تتجه إلى حيث يجلس (ماهر) ، وانحنت نحوه ، وهى تهمس فى عطف:

ـ أنا آسفة .

تطلّع إليها (ماهر) فى شرود ، وهو يغمغم :

ـ لِمَ ؟

أجابته فى حنان :

ـ لقد حدث كل ذلك من أجلى .

لولا ذلك الشعور العميق بالإحباط ، الذى يملأ جوارحه ، لدفعته عبارة (كوثر) إلى الضحك فى مرح ، ولأخبرها فى صراحة أنها ليست السبب فيما حدث ، ولكن تلك الغصة التى يشعر بها فى حلقه ، منعته من التفوه بحرف واحد ، فاكتفى بابتسامة باهتة وهو يربّت على كفها فى هدوء ...

ولم يدر لحظتها ما فعلته لمساته الرقيقة فى نفسها ..

فى أعماقها ..

فى كيانها كله ..

لقد سرت فى جسدها ارتجافة قوية دافئة ، بدأت من سطح كفها ، حيث تمسه أناملها .. وتدفقت عبر عروقها لتبعث فى أعماقها نشوة جارفة ، قبل أن تستقر فى قلبها ، فيخفق فى قوة وسعادة ، وترتفع خلجاته إلى وجهها ، فتكتسى بشرته القمحية بحمرة الخجل واللهفة.

وخيّل إليها أن نظراته الشاردة تحمل كل اللهفة والحب، فاختلست النظر لتتأكد أن (حسام) و(أيمن)

لا ينظران إليها ، ثم ربتت بدورها على كفه فى حنان
وحب ، بأصابع مرتعدة باردة ، وأسرعت عائدة إلى
مكتبها ، وهى تلهث من فرط سعادتها ولهفتها ..

وظلت ترتجف طوال الساعات الباقية من اليوم ،
وهى تغرق فى أحلام رومانسية شاعرية رقيقة ..

تصورت نفسها فى ثوب الزفاف الأبيض ، و(ماهر)
يجلس إلى جوارها بوسامته ، وأناقته ، وابتسامته الجذابة
الساحرة ..

وارتسمت هذه الصورة أمام عينيها ، حتى أنها لم
تعد ترى سواها طيلة الوقت ..

أما (ماهر) فقد غرق فى لجة من الأفكار والحيرة .

كان يتساءل فى دهشة : عن سر تلك التحولات
العجيبة فى شخصية (أميرة) ..

إنها تبدو له أحياناً أرق من النسمة ، حتى ليكاد
يهتف لها بحبه ، ثم لا تلبث أن تتحول فجأة إلى صخر
قاس عنيف ، يؤلمه ويدمى قلبه..

وحاول جاهداً أن يجد تفسيراً مناسباً ، وأعمل

عقله طويلا حتى كاد يشعر بنيران حامية تتأجج فى
عقله ، وتسيل حممها الملتهبة فى قلبه وأعماقه ..

وطال شروده وتفكيره ، حتى شعر بلمسة حانية
على كفه ، فارتجف وهو يتطلع إلى وجه (كوثر) فى
شرود ، ورأى ابتسامتها الرقيقة ، وهى تغمغم :

- لقد حان وقت الانصراف .

تلفت حوله فى دهشة ، وهو يقول :

- أحقاً !!.. وأين (حسام) و (أيمن) ؟

ضحكت (كوثر) فى رقة ، وهى تقول :

- لقد انصرفا منذ لحظات ، ولقد ألقيا عليك
التحية ، ولكنك لم تنتبه إليهما .

غمغم فى خجل :

- يا إلهى !! .. لابد أننى كنت سخيفاً .

هتفت فى حرارة :

- لا تقل ذلك -

ثم استطردت فى همس :

- أنت إنسان ممتاز .

ابتسم فى هدوء ، وهو يقول :

- ليس إلى هذا الحد .

سارت إلى جواره فى خطوات سريعة ، وهو يغادر المكتب ، وهى تقول فى مرح :

- يبدو أنك لا تشعر بحقيقة نفسك .

ضحك وهو يقول :

- نعم .. يبدو ذلك .

رافقته (كوثر) - دون أن يدعوها إلى ذلك - حتى سيارته الصغيرة ، وهى تتحدث طوال الوقت فى مرح وحماس ، وهو شارد الذهن ، يفكر فيما حدث بينه وبين (أميرة) ، ويحاول إيجاد تفسير منطقى له ، حتى وجد نفسه أمام سيارته ، وسمع (كوثر) تسأله فى اهتمام :

- ما هو طريقك ؟

دفع ابتسامة باهتة إلى شفتيه ، وهو يغمغم :

- إننى أقيم فى (الدقى) .

تهللت أساريرها ، وهى تهتف فى مرح :

- يا لها من مصادفة جميلة !! أنا أيضاً أقيم هناك ..

وقبل أن ينطق بكلمة إضافية . كانت قد احتلت المقعد المجاور له فى السيارة ، وهى تقول فى مرح :

- سأسمح لك بإيصالى إلى المنزل .

كان مرحها لطيفاً ، رقيقاً ، حتى أنه أطلق ضحكة صافية ، وهو ينحنى فى أداء مسرحى ، ويقول فى مبالغة مرحة :

- على الرحب والسعة يا أميرتى .

لقد شعر فى هذه اللحظة أنه يحتاج إلى مرحها ورقتها.

إلى حنانها ..

إلى رفيق ينتزعه من بحر أحزانه ..

وانطلق بالسيارة ، وهو يبتسم ابتسامة واسعة ، وكأنما يحاول أن يمحو بها حسرة قلبه مع (أميرة) ..

(أميرة) التى شعرت بخنجر ملتهب يغوص فى أعماق قلبها ، حينما رأته ينطلق بالسيارة ، و (كوثر) تجلس إلى جواره . فأدارت محرك سيارتها الصغيرة فى

عصبية ، وانطلقت بها فى حِدّة واضحة ، وقد امتلأ قلبها بمزيج من الحنَق والغضب والثورة ..

كانت طبيعتها الأنثوية ترفض البحث عن أى تفسير هادئ، لمصاحبته (كوثر) فى أثناء انصرافه، ولم تمنحها نفسها الثائرة إلا تفسيراً واحداً ..

إنه يحاول إغاظتها ..

ولكن لماذا ؟ ..

لو أن علاقتهما لا تعدو علاقة موظف برئيسه فى العمل ، أو حتى علاقة زميلين قديمين ما حاول ذلك ، وما تعمد إغاظتها بالتودُّد إلى فتاة أخرى على مرأى منها ..

إنه لن يفعل ذلك إلاّ إذا كان قلبه ما زال يحمل إليها بعض الحب ..

ابتهجت لحظة حينما راودها ذلك الخاطر ، ثم لم تلبث أن عقدت حاجبيها ، وهى تسترجع الأمور على نحو آخر ، ويتبيّن لها أنها صاحبة الافتراض الأول ، بأنه يحاول العبث بمشاعرها ، وأنها قد شيّدت كل

النتائج الأخرى على هذا الأساس ، الذى لم تتيقن من صحته بعد .

وعاد عقلها يبحث عن تفسير ثانٍ ..

لِمَ لا تكون (كوثر) قد جذبته بالفعل ؟ برقتها وأنوثتها ، بعد أن لمس منها هى تلك الصرامة ؟ وذلك الحزم ؟

أو قد تكون وسامته ، وجاذبيته ، ورجولته هى التى جذبت (كوثر) إليه ؟

أو أنهما مجرد زميلين ، توافق موقع سكنيهما فى حىٍّ واحد ؟ أو ..

أيقظتها أبواق السيارات الساخطة من لجة أفكارها، فى ذلك الشارع المزدحم فى قلب العاصمة ، فعقدت حاجبيها فى حنَق ، وكادت تصرخ فى وجوه قائدى السيارات حولها فى صرامة ، وكأنهم بعض موظفى قسمها ، لولا أن تنبهت إلى موقعها ، وإلى أنها تعوق حركة السير بعد أن تألّق الضوء الأخضر فى إشارة

المرور ، فأسرعت تنطلق بسيارتها فى ارتباك ، وقد انتابها شعور خانق بالضيق ..

وفجأة احتلت صورة أمها عقلها ..

أمها الحنون ، التى تحمل فى أعماقها طيبة فطرية محببة ..

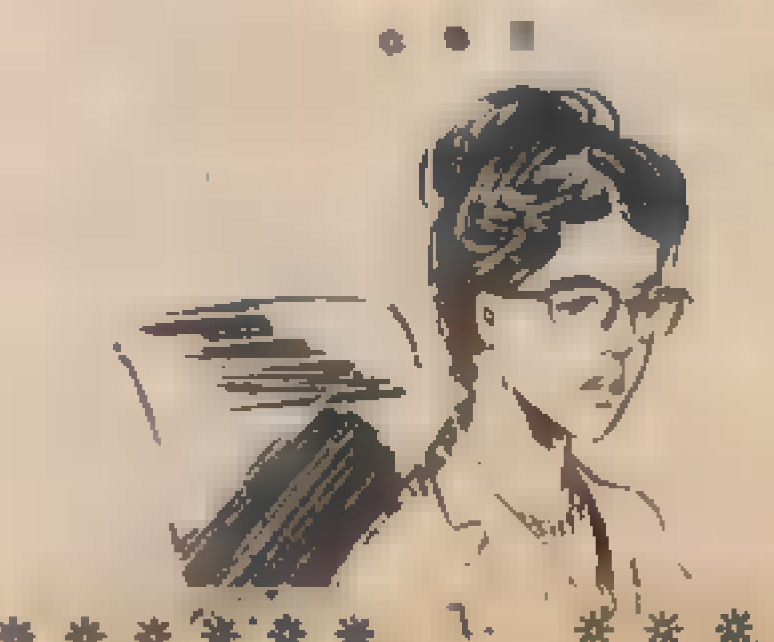
وتنبهت فجأة أيضاً إلى أنها لم تذهب لزيارة أسرتها منذ فترة طويلة ..

وقررت أن تنطلق إلى حىّ (الحسين) .. حيث تقيم أسرتها ..

كانت تشعر باحتياج شديد إلى أمها فى هذه اللحظة.

كانت تحتاج إلى لمسة حنان ..

• • ■



٦ - القـــرار ..

استقبلت الأم ابنتها فى لهفة وحنان وفرح، وضمتها إلى صدرها ، وهى تغمر وجهها بقبلات دافئة حانية ، وهى تهتف فى سعادة :

- كم أوحشتنى يا بنيتى .. كيف لم أرك منذ شهر كامل ؟ .. إننا نتحرّق شوقاً لرؤيتك .

استكانت (أميرة) بين ذراعى أمها الحانيتين ، وهى تغمغم فى خفوت :

- وأنا أيضاً يا أماه .. ولكنها مشكلات العمل .

هتفت أمها فى استنكار ، وهى تضمها إلى صدرها فى لهفة :

- أى عمل هذا يا بنيتى؟ وماذا تركت للرجال ؟

غمغمت (أميرة) فى ضيق :

- أماه .. لقد ناقشنا هذا الأمر من قبل .

تنهدت الأم ، وهى تغمغم :

- حسناً يا بنيتى .. حسناً .. لاريب أن الأمور تختلف فى جيلكم هذا .

ثم تألق وجهها بابتسامة جمعت حنان الدنيا كلها ، وهي تستطرد :

– في أيامنا كنا نترك العمل للرجال ، ونتفرغ نحن لشئون المنزل ، ولقد كان هذا يستغرق وقتنا كله .

وأردفت في صوت خافت ، وهي ترمق ابنتها بنظرة حانية :

– وكان للزواج معنى كبير أيضاً .

ضايقها تلميح أمها الواضح ، فأفلتت من بين ذراعيها ، وتظاهرت بأنها لم تفهم ، وهي تقول :

– أين أبي ، و (صلاح) ، و (غادة) ؟

لوّحت الأم بكفها ، وهي تقول :

– أبوك لم يعد من العمل بعد ، فهو مازال يصرّ على العمل لوقت إضافي ، على الرغم من أنه سيحال إلى المعاش بعد عامين ، و (صلاح) سيعود من كليته في الخامسة ، أما (غادة) فقد خرجت مع خطيبها لشراء بعض لوازم الزواج المقبل .

نطقت الأم عبارتها الأخيرة في صوت متهدّج ،

وأسف واضح ، وكأنها تعلن حزنها على زواج ابنتها الصغرى قبل الكبرى ، فأشاحت (أميرة) بوجهها ، وهي تقول في حنَق :

– ولماذا يصرّ أبي على العمل الإضافي ؟ .. لقد أخبرتكم أكثر من مرة أنني مستعدة لمعاونتكم بنفس المبلغ الذي ....

قاطعتها أمها في حزم :

– حذار أن تكرري ذلك يا (أميرة) .. أنت تعلمين كم يرفض والدك هذا .

لوّحت (أميرة) بذراعها في حنَق ، وهي تقول :

– لماذا ؟ .. إنني ابنته ، وهو مازال موظفاً صغيراً ، على الرغم من عمله لثمان وثلاثين سنة في الحكومة و ..

عادت الأم تقاطعها في حدّة :

– والدك رجل رائع يا (أميرة) ، ولقد فعل من أجلكم أقصى ما يمكن أن يفعله رجل في مثل عمره أو وظيفته .

تضرَّج وجه (أميرة) بحمرة الخجل ، وهى تغمغم فى اعتذار :

— لم أقصد عكس ذلك أبداً يا أماه .

ابتسمت الأم وهى تضمها إلى صدرها مرة أخرى وتقول فى حنان :

— صدقينى يا (أميرة) .. إننى أحب والدك ، وأقدره منذ زواجنا ، وأحمل له فى أعماقى احتراماً كبيراً ، صحيح أنه ليس ثريًّا ، ولكنه حنون شهم ، ولقد قضيت عمرى معه فى أسعد حال ، وهو يكافح طيلة هذه السنوات ليؤمن لأسرته العيش .

غمغمت (أميرة) :

— ما من شك فى هذا يا أماه .

ساد الصمت بينهما لحظة ، ثم هتفت الأم :

— ولكنك شاحبة الوجه يا (أميرة) .. ألا تتناولين غذاء جيداً ؟

ضحكت (أميرة) وهى تقول :

— أنت تعلمين أننى طاهية بارعة يا أماه ، ولكننى لا أضارعك بالطبع .

تهللت أسارير الأم إزاء هذا الإطراء من ابنتها الكبرى ، وهتفت فى حماس :

— سأعد لك طعاماً دسماً ، يعيد إلى وجهك نضارته .

ابتسمت (أميرة) ، وأمها تهرع إلى المطبخ ، ثم لم تلبث ابتسامتها أن تلاشت ، وهى تخلع منظارها الطبى ، وتتطلع إلى وجهها فى المرآة القديمة فى ردهة المنزل ..

لقد كان وجهها شاحباً حقًّا ، وتصفيفة شعرها التقليدية تزيده شحوباً ..

حتى عيناها الجميلتان بدتا شاحبتين ، ذابلتين ، وكأنما انتزع منها موقفها مع (ماهر) دماء الحياة والحيوية ..

وأعادتها ذكرى (ماهر) إلى السبب الحقيقى لرغبتها فى زيارة أسرتها ..

لقد كانت تحتاج إلى حنان أمها وحبها ، وإلى أحضانها الدافئة الرحيمة ..

كم تمنت لحظتها لو استطاعت أن تقص الأمر كله على أمها ، وهى تستكين بين ذراعيها ..

كم تمنت أن تطلق لدموعها العنان ، وهى تشرح لها لواذع قلبها ...

لقد شعرت لحظتها أنها لم تعد (أميرة) .. رئيسة قسم الحسابات الصارمة ..

لقد عادت تلك الأنثى الضعيفة ، التى تحتاج إلى من يساندها ، ويضمها إلى صدره فى حنان ..

شعرت أنها تحتاج إلى صدر (ماهر) ، لتريح فوقه رأسها ، وإلى لمسانه الحانية وحبه الجارف ..

وَدَّت فى هذه اللحظة لو أنها ذهبت إليه ، وألقت بنفسها بين ذراعيه ، واعترفت له بحبها ، وطلبت منه الصفح عن تعنتها فى معاملته ..

وانتزعتها من أفكارها فجأة صيحة ، تجمع بين الدهشة والفرح ..

صيحة شقيقتها الصغرى (غادة) ، وهى تهتف :

– (أميرة) ؟! .. يا لها من مفاجأة سارة !!

احتضنت شقيقتها فى سعادة ولهفة ، وتبادلتا قبلات الفرح والشوق ، قبل أن تهتف هى :

– كيف حال العروس؟.. أين خطيبك (ماجد) ؟

ارتفعت حمرة الخجل إلى وجه (غادة) ، وهى تقول فى مرح :

– لقـد عاد إلى عمله ، فهو يعمل أيضاً فترة إضافية ، للحصول على مزيد من الدخل .

رفعت (أميرة) حاجبيها ، وهى تقول فى دهشة :

– ومتى تتنزهان إذن ؟

ضحكت (غادة) وهى تقول :

– إننا نختلس بعد الوقت بين موعدى العمل ، فهو يعمل حتى فى أيام الجمع والإجازات .

هتفت (أميرة) فى استنكار :

– أى نوع من الحياة هذا ؟

هزت (غادة) كتفيها ، وهى تقول فى استسلام :

– الزواج يحتاج إلى تكاليف باهظة فى هذه الأيام يا (أميرة) .

مطت (أميرة) شفتيها ، وهى تقول :

– هناك من يمكنهم تأمين كل هذه التكاليف ، دون الحاجة إلى إرهاق أنفسهم إلى هذا الحد .

تطلعت إليها (غادة) لحظة ، ثم أجابت فى هدوء:

– ولكن لا يمكنهم منحى نفس القدر من الحب، الذى يمنحه لى (ماجد) .

لوَّحت (أميرة) بذراعها ، وهى تقول :

– الحب كلمة رومانسية ، لا يمكنها أن تقيم حياة ناجحة .

– ولكنها تجعل كل أنواع الحياة محتملة .

– حتى الفقر ؟! .

– الفقر هو أن يحيا الإنسان فى قالب مادىّ جامد لا أن يفتقر إلى المادة .

– ولكن المادة هى التى تأتى بكل شىء ، بالشقة والأثاث و ...

– والحب ؟!

– قد لا تأتى بالحب ، ولكنهـا تأتى بالراحـة ، والأمثال القديمة تقول : « إذا دخل الفقر من الباب ، قفز الحب من النافذة » .

– لو أنه حب حقيق ، فسيتصدَّى للفقر ، ولن يسمح له باحتلال وطنه ، وإجباره على مغادرته من النافذة .

– إنه منطق رومانسى .

– بل منطق عملى بحت .

– أى منطق عملى هذا ؟

– منطق التاجر الذكى ، الذى يبحث عن صفقة رابحة ، ويرفض التخلى عنها .

– صفقـة رابحة ؟! .. هل تطلقين على الفقـر (صفقة رابحة) ؟

– بالطبع ، فالصفقة الرابحـة هى الحصـول على شىء نادر ، قد لا يمكن الحصول عليه فيما بعد ، وحينما أنظر إلى الزواج بنظرة التاجر الذكى ، أجد أنه يحتاج

إلى الحب والتفاهم والمادة ، وأصعب هذه العوامل هو الحب ، فهو إما أن يكون أو لا يكون ، ولو أننى اخترت الحب ، لأمكننى من خلاله صنع التفاهم ، والحصول على المادة ، أما لو اخترت المادة فلن يمكننى أبداً صنع الحب والتفاهم من خلالها ، وهكذا أختار الحب بلا تردد ، وأعتبره بالطبع صفقة رابحة .

لم تدر (غادة) وهى تنطق هذه الكلمات فى هدوء أنها إنما أصابت قلب شقيقتها فى الصميم ، وأضاءت لها خطأ حياتها فى وضوح مخيف ..

لقد تجاهلت الحب الواضح فى لهجة (ماهر) وأسلوبه ، حينما تخرجا من كلية التجارة ، لأنها كانت تطمح إلى المادة والثراء ، وتناسته لسبع سنوات كاملة حتى لا يعوقها ذلك عن الوصول إلى هدفها ..

وحتى حينما عاد ، بعد كل هذه السنوات ، تركت ذلك الستار الجليدىّ ، الذى ينسدل على قلبها يحول بينهما ، وتركت عنادها يقهر مشاعرها ، لأنها تطمح فى مزيد من النجاح ، والثراء ، والراحة ..

أى نجاح وأى ثراء ، وأية راحة ؟!! ..

لقد خسرت الصفقة الرابحة ، كما تقول شقيقتها الصغرى ، وربحت كل ما عدا ذلك ..

لقد خسرت حب (ماهر) وحنانه ، مقابل طموحات لن تنتهى أبداً ، ولن تمنحها الاستقرار قط .

خسرت عمرها وحياتها ، وأنوثتها ..

ولكنها لن تواصل الخسارة ..

ستسعى خلف الصفقة الرابحة ..

ستسعى خلف الحب والحياة ..

وتطلعت (غادة) إلى وجه شقيقتها الشاحب فى جزع ، وهى تهتف :

— (أميرة) ، إننى لم أقصد إغضابك . أقسم لك ..

وأدهشتها تلك الابتسامة الهادئة ، التى تألقت على شفتى (أميرة) ، وتلك الدماء الحارة ، التى تدفقت إلى بشرتها ، فأعادت إليها ذلك اللون الوردى الجميل ، وهى تحتضنها وتقبلها فى حرارة ، وتقول فى ارتياح :

— حديثك لم يغضبنى يا (غادة) .. إنه على

العكس ، عاونني على اتخاذ قرار أرهقني التفكير فيه طويلا .

عادت (غادة) تحدّق فى وجهها بدهشة ، قبل أن تغمغم فى حيرة :

– قرار ؟!.

قبلتها (أميرة) فى سعادة جمة ، وهى تبتسم ابتسامة رائعة ، جعلت شقيقتها تتساءل عن آخر مرة رأت فيها مثلها على شفتيها ، وخيل إليها أن ذلك كان منذ زمن طويل للغاية ، خاصة حينما سمعت صوت شقيقتها ، الممتلئ بحنان غامر ، ولهفة حيمة ، وهى تقول فى هيام :

– نعم يا (غادة) .. إنه أعظم قرار فى حياتى كلها .



٧ ـ وعاد الجليد ..

لم تتوقف (كوثر) عن الحديث لحظة واحدة و (ماهر) يصحبها فى سيارته إلى حيث تقيم ، وكأنما تتخذ من ذلك حجة لتأمل ملامحه الوسيمة الهادئة ، وهو يكتفى بابتسامة رقيقة بين حين وآخر ، ويفسح لها المجال لمواصلة حديثها المرح ، المفعم بحماس عجيب ، كما لو أنها تتحدث لأول مرة مع نجمها السينمائى المفضل الذى ظلت تحلم بلقائه طيلة عمرها ..

ولقد كان الأمر كذلك بالفعل ..

كان (ماهر) يشبه تماماً تلك الصورة الجميلة التى ظلت تراود أحلام (كوثر) منذ استنشقت عبير الأنوثة ، وهامت فى بحار الرومانسية ..

صورة فارس الأحلام الوسيم ، الأنيق ، المهذّب ، الذى صنعه خيالها ، وأحاطه بهالة مقدسة ، مع خطواتها الأولى فى عالم النضوج ..

ولقد شعرت بذلك حينما وقع بصرها عليه لأول مرة ، ولعل هذا سر اهتمامها البالغ ، وترحابها الشديد

بمقدمه ، ولعله أيضاً سر إسراعها فى تنظيف مكتبه ، وكأنها تأبى أن يحتل فارس أحلامها مكتباً مهملا ..

وحينما تصوَّرت أنه تحدى (أميرة) من أجلها ، تضاعف ذلك الإحساس فى أعماقها ، ووصل إلى ذروته عندما منحها تلك الإبتسامة الشاردة ، وربَّت على كفها فى حنان ..

لقد تصوَّرته يبادلها الإعجاب ..

تصوَّرت أنه وجد فيها فتاة أحلامه ، كما وجدت فيه فارس أحلامها ..

وعلى عكس (أميرة) ، كان قلبها من ذلك النوع الساخن ، الذى لا يحتاج لأكثر من لمسة حنان رقيقة ، حتى يلتهب بنار الحب واللهفة ..

ويبدو أن لهيب عواطفها ، ومشاعرها الرقيقة قد نجح فى التسلل إلى قلب (ماهر) ، الذى كان يعانى الجليد البارد ، الذى غلفته به (أميرة) .. وبلا وعى منه ، وجد نفسه يقارن بين رقتها ومرحها ، وأسلوبها

العفوى البسيط ، وبين صرامة (أميرة) وحزمها ، وأسلوبها العملى الجاف ..

من المستحيل أن نقول إنه قد أحب (كوثر) فى هذه اللحظات القصار ، إلا أنه بدأ يشعر بالارتياح تجاهها ، مما جعله يقول فى صوت خافت ، وهو يوقف سيارته أمام منزلها :

ـ لقد أسعدنى الوقت الذى قضيناه معاً يا (كوثر).

تهللت أساريرها ، وتخضب وجهها بحمرة الخجل والفرح ، وهى تقول فى همس :

ـ أحقًّا ؟! .

تألقت ابتسامة صافية فوق شفتيه ، وهو يقول فى هدوء :

ـ نعم .. لقد أسديت لقلبى خدمة لن ينساها أبداً .

كان يقصد بقوله ، أن مرحها العفوى الرقيق قد انتزع من قلبه آلام لقائه الأخير مع (أميرة) ، ولكنها استقبلت العبارة بسعادة فائقة ، وبمزيد من حمرة الخجل ، وقد خيل إليها أنه يبثها حبه بأسلوب غير

مباشر ، فأطرقت برأسها فى حياء ، وعجزت عن النطق
من فرط سعادتها ، فى حين أشار هو إلى منزلها ، وهو
يقول :

ـ هل تعلمين أنك تقيمين إلى جوارى تماماً ، فأنا
أقيم فى البناية المجاورة لكم ؟

هتفت فى فرح :

ـ حقًّا !! هذا يعنى أن طريقنا واحد .

ابتسم ، وهو يقول :

ـ وسيسعدنى أن أدعوك للذهاب إلى العمل ،
والعودة منه فى سيارتى ، ما لم يضايقك ذلك .

اختلج قلبها بين ضلوعها كجناحى فراشة رقيقة ،
تهبط على أوراق زهرة يانعة ، ورفعت عينيها تملؤهما
بوسامته وحنانه ، دون أن تتفوّه بكلمة واحدة ، ثم
أسرعت تغادر السيارة قبل أن تغلبها مشاعرها ، فتلقى
بنفسها بين ذراعيه ، وغمغمت فى صوت متهدّج ، وهى
تلوّح له بكفها :

ـ سأنتظرك صباح الغد .

ثم أسرعت ترقى درجات سلم المنزل فى خجل ،
فى حين بقى هو يتابعها ببصره لحظات ، وابتسامته
الجذابة لا تفارق شفتيه ، حتى غابت عن عينيه ، فهبط
من سيارته بدوره ، واتجه إلى منزله ، ولم يكد يلجه
حتى استعاد ذهنه ملامح (أميرة) وجمالها ، واحتلت
صورتها كيانه كله ، فجلس على أقرب مقعد مجاور
للباب ، وغمغم فى عتاب :

ـ لماذا فعلت ذلك يا (أميرة) ؟

وتلاشت صورة (كوثر) من عقله تماماً ، حينما
احتل قلبه موقع الصدارة ، وهو يحمل صورة (أميرة)
ويبحث فى حيرة عن تفسير لموقفها ..

ولم يكن يدرى فى تلك اللحظة أن موقف (أميرة)
تجاهه ، لم يعد متضارباً متخبطاً ..

لقد حسمت موقفها ، وصارحت قلبها بحبه ..

ومن العجيب أن هذه المصارحة قد قلبت كيانها
كله ، وحوّلتها إلى مخلوق آخر ، حتى أنها أدهشت أمها
وشقيقتها بذلك المرح المفاجئ ، الذى ملأ نفسها ، وهى

تتناول ذلك الطعام ، الذى أعدته لها أمها ، فى شهية واضحة ، مما جعل (غادة) تبتسم فى حنان ، وهى تقول :

- (أميرة) .. إنك تبدين رائعة .

فى حين رفعت أمها كفيها ، وهى تدعو الله (سبحانه وتعالى) قائلة :

- اللهم أدم عليها مرحها وسعادتها .

ضحكت (أميرة) ، وهى تقول :

- هل أبدو مختلفة إلى هذا الحد ؟

ثم حلت مشبك شعرها ، وتركته ينسدل على كتفيها ، وهى تقول فى مرح :

- كيف سأبدو إذن ، حينما أفعل ذلك ؟

هتفت (غادة) فى حماس :

- كملكة جمال العالم .

وارتفع حاجبا الأم فى حنان ، وهى تقول :

- لِمَ تخفين جمالك هذا يا بنيتى ؟ .. إنك أجمل بنات الحىّ ، ولا ينقصك إلا ..

بترت الأم عبارتها فجأة ، خشية أن تغضب ابنتها ولكن الدهشة سرت فى أعماقها ، حينما ضحكت (أميرة) فى مرح ، وهى تقول :

- الزواج .. أليس كذلك ؟

ترقرقت دموع الأم فى عينيها ، وهى تغمغم فى حنان :

- إنها أمنيتى أنا وأبيك يا بنيتى .

تسللت حمرة الخجل إلى وجنتى (أميرة) ، وهى تغضّ من بصرها ، مغمغمة :

- يبدو أن أمنيتكما ستتحقق قريباً يا أماه .

حدّقت (غادة) فى وجه شقيقتها بمزيج من الدهشة والفرح ، فى حين تهللت أسارير الأم ، وعجز لسانها عن النطق لحظات ، قبل أن تهتف فى سعادة غامرة :

- أحقّاً ما تقولين يا (أميرة) ؟ .. وا فرحتاه .. إنه يوم المنى يا بنيتى الحبيبة .

واحتضنت ابنتها فى حنان دافق ، وفرح غامر ،

وانطلقت دموع الفرح من عينيها لتبلل وجه (أميرة) ، وهى تردف :

ـ سيطير والدك فرحاً حينما أخبره .

غمغمت (أميرة) فى صوت خافت ، مفعم بالحياء :

ـ لا تخبريه الآن يا أماه .. ليس قبل أن ..

لم تجد ما تتم به عبارتها ، فآثرت الصمت ، فى حين أخذت أمها تغمر وجهها الجميل بقبلات الفرح ، وهى تضمها إلى صدرها فى حنان ، وهتفت (غادة) فى شغف :

ـ أهو شخص نعرفه ؟

ابتسمت (أميرة) فى خجل ، وهى تقول :

ـ هل تذكرين (ماهر) ؟ .. (ماهر عبد الله) ؟

عقدت (غادة) حاجبيها ، وكأنما تحاول اعتصار ذهنها لتذكره ، ثم هتفت فى فرح :

ـ هل تقصدين زميلك الوسيم ، صاحب أجمل ابتسامة فى العالم ؟

أومأت (أميرة) برأسها فى خجل وفرح ، فأطلقت (غادة) صيحة مرحة ، قبل أن تقول فى حماس :

ـ ستكونان أجمل زوجين فى العالم كله ، وستنجبان أجمل الأبناء ـ بإذن الله ـ .

ثم مالت على أذن شقيقتها ، واستطردت فى اهتمام :

ـ ومتى يمكننا إعلان الخبر السعيد ؟

غمغمت (أميرة) فى فرح :

ـ قريباً يا (غادة) .. قريباً جداً ..

نفس العبارة رددتها لنفسها ، وهى ترتدى ثيابها فى الصباح التالى ..

لقد تركت منظارها الطبى يستقر وسط أدوات الزينة ، دون أن تلتفت إليه ، وحرصت على إسدال شعرها الأسود الناعم على كتفيها ، وتصفيفه على نحو زاد من جمالها وتورُّد وجنتيها ، وانتقت لنفسها ثوباً زاهى الألوان ، يوحى بالبهجة والفرح ، ووضعت قليلا من طلاء الشفاة فى خجل ، وكأنما تفعل ذلك من أجل (ماهر) وحده ..

ولقد أدهشتها تلك الصورة الرائعة ، التى طالعتها فى المرآة ، وهى تلقى عليها نظرتها الأخيرة ، قبل أن تغادر منزلها ..

لقد كانت صورة (أميرة) أخرى ..

صورة فتاة رائعة الجمال ، بالغة الرقة والأنوثة ..

ولقد قرأت ذلك فى عيون الجميع ، وهى تتجه إلى حيث تقبع سيارتها الصغيرة ..

عشرات من نظرات الدهشة والإعجاب تتابعها فى انبهار ، وكأن أصحابها يرونها لأول مرة ..

حتى عامل الجراج وقف يتطلع إليها فاغرًا فاه ، خاصة حينما خاطبته بلهجة بالغة الرقة ، تختلف تماماً عن أسلوبها الصارم ، الذى اعتاده دوماً ..

وانطلقت هى بسيارتها ، واللهفة تملأ كيانها كله .

كانت تتلهف لمقابلة (ماهر) ، ورؤية الدهشة والإعجاب فى عينيه ، وهو يتطلع إلى مظهرها الجديد.

كانت تحلم باللحظة التى تضمهما ، وبالأسلوب الجديد الذى سيعاملها به ، وبكلماته الحانية الرقيقة ..

كانت تتمنى لو أنه بثها حبه هذه المرة ..

كانت تتمنى أن تتحوّل أحلامها كلها إلى حقائق بعد لحظات ..

وفجأة .. غاص خنجر بارد فى قلبها ..

خنجر قاس حاد ، مزّق كل أحلامها وآمالها ..

وضغطت كابح سيارتها فى قوة ، حتى أن السيارة توقفت فجأة فى عرض الطريق ، وكادت السيارات الآتية خلفها تصطدم بها فى عنف ، قبل أن تنحرف عنها ، ويصرخ قائدوها بعبارات ساخطة حانقة ..

لم تشعر بكل هذا ، ولم تنتبه إليه ، لأن بصرها ، وعقلها ، وذهنها ، كانت تحدّق فى مشهد لم تكن تتوقعه أبداً ..

لقد رأت (ماهر) ، وهو ينتظر (كوثر) أسفل منزلها ، ويستقبلها فى حرارة واضحة ..

رأتها تتأبط ذراعه والحب يملأ كل خلجة من خلجات وجهها ، ويتفجر كالبركان فى نظراتها وعينيها ..

ورأتهما ينطلقان إلى سيارة (ماهر) ، التى انطلقت فى هدوء ..

وتسمّرت (أميرة) فى مكانها ، واغرورقت عيناها بدموع القهر والألم واليأس ..

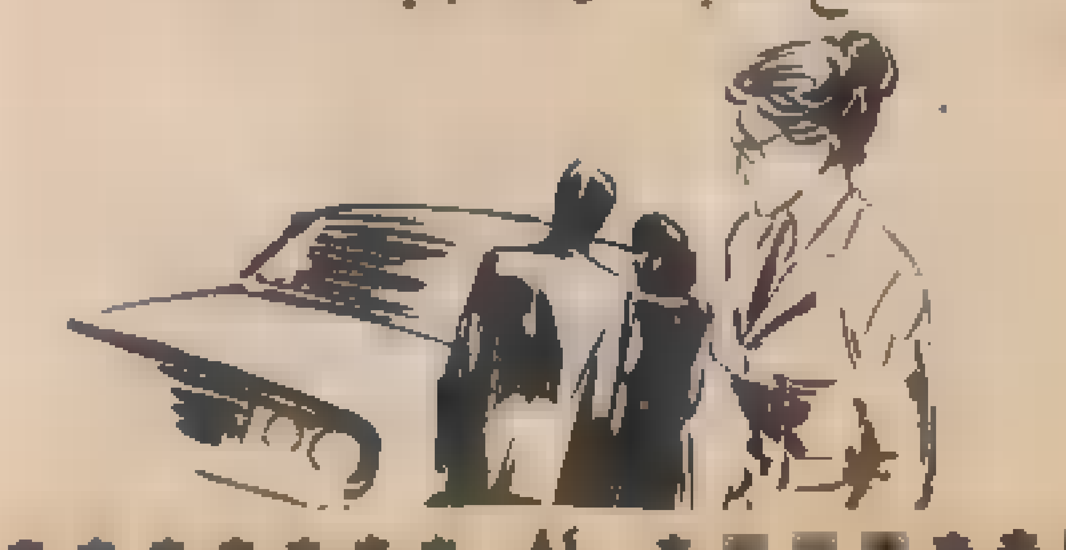
لقد خسرت (ماهر) فى اللحظة التى أرادت فيها أن تربحه ..

لقد تأخرت عن ركب الحب ، ووصلت بعد فوات آخر عرباته ..

وتجمدت دموعها فى مقلتيها ..

تجمدت مع ذلك الجليد الذى عاد يغلف قلبها ، ويمحو خفقانه وحرارته ..

لقد ضاع الحب .. وعاد الجليد .



٨ ـ اليوم الثانى ..

وهل وصلتكم أنباء المعجزة ؟! .

هتف (أيمن) بهذه العبارة فى مرح ، وهو يخطو داخل الحجرة ، فالتفت إليه (حسام) و (كوثر) و (ماهر) الذى سأله فى هدوء :

ـ أية معجزة ؟

مال (أيمن) إلى الأمام ، ورفع ذراعه فى حركة مسرحية ، وهو يقول فى لهجة من يلقى بياناً هاماً :

ـ الآنسة (أميرة) حصلت على إجازة عارضة اليوم .

تجلّت الدهشة فى وجهى (كوثر) و (حسام) ، فى حين عقد (ماهر) حاجبيه ، وهو يقول فى قلق واضح :

ـ إجازة عارضة ؟! .. لماذا ؟

هتف (أيمن) فى مرح :

ـ لا يهم لماذا يا صديق .. المهم أنها أول مرة تفعل فيها ذلك .

ازداد انعقاد حاجبى (ماهر) ، وهو يقول فى مزيد من القلق :

— هذا أكثر مدعاة للقلق يا (أيمن) ، فربما كانت مريضة أو ..

قاطعه (حسام) فى هدوء :

— اطمئن يا أستاذ (ماهر) .. إنها ليست مريضة.

التفت إليه (ماهر) فى دهشة ، وهو يغمغم :

— كيف يمكنك أن تجزم ؟

ابتسم (حسام) ابتسامة الواثق ، وهو يجيب فى هدوء :

— الآنسة (أميرة) شديدة الالتزام بلوائح العمل، ولو أنها مريضة لطلبت إجازة مرضية ، لا إجازة عارضة .

ظل وجه (ماهر) يعبّر عن قلقه الشديد ، وهو يلتقط سماعة الهاتف ، قائلا :

— لن يضيرنا أن نحاول الاطمئنان عليها .. من منكم يعلم رقم هاتفها الخاص ؟

جاءت الإجابة من بين شفتى (كوثر) ، فى صوت يحمل مزيجاً من الحنق والغيرة ، وهى تقول :

— إنها لا تمتلك هاتفاً فى منزلها .

لم ينتبه (ماهر) إلى ما يحمله صوتها ، وهو يسألها فى اهتمام :

— أأنت واثقة ؟

أجابته فى حدّة :

— تمام الثقة .

ثم أردفت فى عصبية :

— ثم ماذا يعنيك من شأنها ، حتى ينتابك الجزع من أجلها إلى هذا الحدّ ؟

انتابه الخجل من مغزى عبارتها ، فأعاد سمّاعة الهاتف فى بطء، وهو يقول فى صوت شديد الخفوت:

— إنها رئيسة القسم ، وزميلة العمل .

نقل (أيمن) بصره بين (ماهر) و (كوثر) فى بطء ، ثم اتجه إلى مكتبه ، وجلس يراجع بعض الأوراق فى صمت ، فى حين فتح (حسام) فمه ، وكأنه

يهم بنطق عبارة ما ، إلا أنه لم يلبث أن أطبق شفتيه ،
وهز كتفيه ، وعاد ينهمك فى عمله ، وظلت (كوثر)
تراقب القلق الواضح فى ملامح (ماهر) لحظة ، ثم
نهضت من خلف مكتبها ، وجذبت مقعدها إلى مكتبه ،
وجلست إلى جواره ، دون أن تهتم بـ (أيمن) ، الذى
تطلّع إليها فى دهشة ، ولا بـ (حسام) ، الذى اختلس
النظر إليها ، وهو يتظاهر بانهماكه فى عمله ، ومالت
نحو (ماهر) تسأله فى صوت خافت ، يمتلئ بالغيرة :

— لماذا يقلقك غياب الآنسة (أميرة) إلى هـذا
الحد ؟

صمت لحظة ، وهو يحاول الفرار بعينيه من عينيها
الفاحصتين ، ثم هز كتفه ، وهو يقول فى بطء :

— قلت لك إنها رئيسة القسم و ..

قاطعته فى عصبية :

— لن يقنعنى هذا .

ثم عادت تسأله فى توتر ، وبلهجة وكيل النيابة ،
وهو يستجوب متهماً مراوغاً :

— هل كنت تعرفها من قبل ؟

تظاهر بالمرح ، وهو يقول :

— أهو تحقيق ؟

فوجئ بها تهتف فى غضب :

— نعم .

وتضرّج وجهها بحمرة داكنة ، حينما فوجئت
بارتفاع صوتها ، فعادت تخفضه إلى الهمس ، وهى
تقول فى ضراعة :

— أرجوك يا (ماهر) .. أريد أن أعرف .

رأت عينيه تتسعان فى ذعر ، ووجهه يشحب على
نحو عجيب ، فأمسكت كفه فى جزع ، وهى تهتف
فى همس :

— رباه !! .. ماذا أصابك ؟

جذب كفه من راحتيها فى رفق ، وابتسم ابتسامة
أشد شحوباً من وجهه ، وهو يقول فى خفوت :

— لا شىء يا (كوثر) .. إنها مجرد وعكة خفيفة .

لكنها شعرت أنه يكذب ..

ولقد كان شعورها صادقاً ، ولكنها لم تدرك أبداً سرّ شحوبه ، ولا اتساع عينيه ..

ولو أنها أدركت السر لحظتها لسقطت ذبيحة مشاعرها ..

لقد فهم (ماهر) فجأة ما خفى عليه منذ البداية ..

فهم أن (كوثر) غارقة فى حبه ..

لم يصدق الأمر فى الوهلة الأولى ، فلقد كان هذا ثانى أيامهما معاً ، ولم يمكنه استيعاب وقوعها فى حبه بهذه السرعة ، ولكن حديثها ، وغيرتها الواضحة ، ورغبتها القوية فى معرفة سر اهتمامه بغياب (أميرة) كانت تشى بحقيقة مشاعرها ..

وهاله الأمر ..

شعر أنه أخطأ ، حينما منحها حنانه واهتمامه بهذه السرعة ..

لقد تصوّر أن علاقتهما لن تتعدّى حدود الزمالة فى العمل ، لأنه لم يتصور أبداً أنها تحمل كل هذا القدر

من الرومانسية فى أعماقها ، ولا أنه فارس أحلامها ، الذى تبحث عنه دائماً ..

وأربكته المفاجأة ، وبعثت فى نفسه مزيداً من الحيرة ، فأخذ يتطلع إلى وجه (كوثر) دون أن يدرى ماذا يفعل ؟ وكيف ينتزع من قلبها هذا الحب الزائف ؟

وانتزعته (كوثر) من حيرته وهى تسأله فى ضراعة :

— قل لى يا (ماهر) .. هل كنت تعرفها من قبل؟

أشاح بوجهه عنها ، ليخفى توتره ، وهو يقول فى خفوت :

— نعم يا آنسة (كوثر) .. لقد كنا زميلين فى دفعة واحدة .

ضغط حروف لقب (آنسة) ، وكأنما يؤكد لها أن مشاعره نحوها لا تعدو صداقة العمل ، إلا أنها لم تنتبه لذلك ، مع اهتمامها الشديد بإجابته ، ومع اتساع عينيها ذعراً ، وهى تسأله :

— فقط ؟!

خفض عينيه وهو يغمغم فى صوت شديد الخفوت :

- وهل يبدو لك الأمر أكثر من ذلك ؟

لم تكن إجابته مقنعة ، حتى بالنسبة إليه ، فقد كان الحزن يقطر كالسم من حروف كلماته ، والإحباط يغلفها بغلاف واضح سميك ، ولقد كادت (كوثر) تجيبه بـ (نعم) ، لولا أن أمسك قلبها بحروف الكلمة ، ومنعها من نطقها ، فلاذت بالصمت الذى أحاطهما لحظات ، ثم غمغمت :

- يكفينى ذلك .

وعادت تجذب مقعدها إلى مكتبها فى هدوء ، وتلتقط بعض الأوراق ، دون أن ترفع عينيها إلى (ماهر) الذى شعر بالأسف من أجلها ، وحاول أن يبحث عن وسيلة لإصلاح الأمر ، إلا أن أفكاره تسللت على الرغم منه إلى (أميرة) ..

إلى الفتاة الوحيدة فى هذا الكون ، التى مازالت تحتل قلبه كله ..

وراح يتساءل : هل فرّت منه بعد صدام أمس ؟ هل كرهت رؤيته ؟ ..

وراح قلبه يصرخ فى لوعة : أين أنت يا (أميرة) ؟ أين أنت يا مهجة فؤادى ؟..

ولم يصل نداء قلبه ، فى هذه اللحظة ، إلى قلب (أميرة) ، فقد كان قلبها يبكى فى مرارة ، لتمتزج دموعه بدموع عينيها ، وهى تخفى وجهها فى وسادتها ، وتنتحب على نحو مؤلم ..

لقد انفطر قلبها وتحطم حينما رأت (ماهر) و(كوثر) معاً ، وأسرعت تعود إلى منزلها ودموعها تملأ وجهها ، حتى أنها أثارت دهشة عامل الجراج الذى لم يبادلها كلمة واحدة وهى تسلمه السيارة ، وتسرع خارج المكان ..

وكم بدت لها شقتها الأنيقة خاوية ، باردة وهى تلجها هذه المرة ..

وكم شعرت برغبة قوية فى أن ترتمى بين ذراعى أمها ، وتبكى على صدرها ..

والعجيب أنها لم تدر كم من الوقت استغرقه بكاؤها إلا أن وسادتها كانت مبتلة تماماً حينما رفعت رأسها عنها وقد جفت دموعها تماماً ..

وجلست على طرف فراشها تسترجع طعنة قلبها النجلاء ..

استرجعت حديثها مع شقيقتها .. وذلك التبدل الذى أصاب مشاعرها وشخصيتها بعده ..

استرجعت مرحهـا وفرحتهـا ، وهى تشرح مشاعرها لأمها وشقيقتها ربما لأول مرة فى حياتها كلها ..

واسترجعت ذلك المشهد الذى أدمى قلبها ..

مشهد (كوثر) ، وهى تتأبط ذراع (ماهر) بكل الحب ..

وانتابها شعور قوى بأنها حمقاء مخدوعة ..

حمقـاء لأنهـا كشفت مشاعرها ، قبل أن تتبين خطواتها القادمة فى حـذر ، كعادتها كلما أقدمت على أمر ما ..

حمقاء لأنها وثقت فى حب لم يصرح به صاحبه ..

حمقاء لأنها سمحت له بخداعها ..

. كيف ستواجه أمها وشقيقتها .. حينما يسألونها : متى سيأتى (ماهر) لخطبتها ؟ ..

كيف ستواجهه هو ، بعد أن كشفت خداعه ؟ .

وازداد ذلك الغلاف الجليدى الذى يحيط بقلبهـا سمكاً ، وقساوة ..

وألقت عواطفها كلها جانباً ، ونهضت من فراشها فى صرامة وحزم ، ووقفت أمام المرآة تتأمل وجهها لحظة ، ثم رفعت شعرها الناعم المنسدل ، وعادت تعقصه خلف رأسها على نفس النحو الصارم القديم .. والتقطت منظارها الطبى ، ووضعته فوق عينيها ، وعادت تتطلع إلى المرآة ، وتتأمل صورتها الصارمة التقليدية ..

ومن العجيب أنها شعرت بالارتياح ..

شعرت بعنادها وكبريائها يعودان لاحتلال نفسها ، وكيانها ..

وعقدت حاجبيها فى صرامة ، وعادت تتطلع إلى صورتها ، وهى تغمغم فى مزيج من الغضب والحزم :

ـ ستدفع الثمن يا (ماهر) .. ستدفع الثمن .

• • •

٩ - التحــدى ..

بدت (أميرة) فى اليوم التالى شديدة الشحوب والذبول ، على الرغم من أن مظهرها لم يختلف كثيراً عما ألِفه موظفوها ، حتى أن أحدهم لم يتنبه إلى ما اعتراها ..

إلا (ماهر) ..

لم يكد يلمح شحوبها وذبولها ، حتى ارتسم الجزع فى ملامحه ، وأسرع إليها يسألها فى لهفة :

- حمداً لله على عودتك يا (أميرة) .. كيف حالك ؟

حدَجَتْه بنظرة نارية غاضبة ، وهى تقول :

- آنسة (أميرة) يا أستاذ (ماهر) ، ثم إن حالى ليس من شأنك .

لم يدهشه أسلوبها أو يؤلمه هذه المرة ، فقد كان قلقه عما أصابها أعمق من أن يلتفت إلى صرامتها ، التى جعلته يألفها ويعتادها فى يومين فقط ، ولكن هذا لم يمنعه من أن يبتسم فى مرارة ، وهو يقول :

- أنت رئيسة العمل يا آنسة (أميرة) ، وزميلة دراسة قبل كل شىء .

وضعت رأسها فى اعتدال ، وشملت جسده ، من أسفله إلى أعلاه ، بنظرة متغطرسة ، قبل أن تقـول فى برود :

- هذا صحيح ، ولكننى أرجو ألا تنسى أبداً أننى رئيسة العمل .

وابتعدت عنه بخطوات عصبية سريعة ، وكأنمـا تحاول منعـه من التفوه بكلمة أخرى ، وتابعهـا هـو ببصره فى ألم وحيرة ، حتى سمع صوت (كوثر) إلى جواره ، تقول فى حِدَّة :

- إنها إنسانة سخيفة متعالية .

هتف فى استنكار :

- (أميرة) ؟! .. أنت مخطئة يا (كوثر) - إن (أميرة) مخلوقة رقيقة للغاية ، ولكنها تحيط نفسها بذلك القناع الصارم البارد ، حتى يمكنها السيطرة على العمل فحسب .

شحب وجه (كوثر) ، وارتجف قلبها مع تلك النبرة الحانية فى صوته ، وأطرقت برأسها وهى تقول فى استسلام :

– نعم .. ربما كنت على حق .

لم يعد لديها من شك فى أنه يحب (أميرة) ..

بل إنه يعشقها ..

العاشق وحده هو من يمكنه أن يغفر أية إساءة ..

العاشق وحده لا يرى أخطاء من يعشق ..

وتساءلت فى أعماقها بحنق عن سر حبه لـ (أميرة) ،

ووجدت نفسها تعترف بأن (أميرة) جميلة حقًّا ، على الرغم من عدم عنايتها بمظهرها وهندامها ، ولكنها لم تكن تجد فيها أبداً تلك الرقة التى يتحدث عنها (ماهر) .

وكاد اليأس يملأ أعماقها ، لولا أن تذكرت أن أسلوب (أميرة) فى معاملته لا يشف أبداً عن مبادلتها إياه هذا الحب ، فعاد الأمل ينتعش فى نفسها ، وعاد قلبها يخفق من جديد ..

أما (ماهر) فقد ظل عقله مشغولا بـ (أميرة)

طيلة الوقت ، على الرغم من محاولاته المستميتة لمحو صورتها من خياله ..

لقد أصبح يراها فى كل لحظة ، ومع كل نبضة من نبضات قلبه ..

إنه يحبها من أعماق كيانه ومشاعره ، ويعلم أن صرامتها وبرودها هما نتاج لخطإ فى أسلوب تعاملها مع الآخرين ، ولكنهما ليسا حقيقة فى تكوينها ..

لقد عرفها منذ زمن ..

عرف رقتها وحنانها ..

لمسهما بمشاعره وقلبه ، قبل أن يتبدل حالها على هذا النحو العجيب ..

ترى هل يمكن أن يتبدل الإنسان إلى هذا الحد ، خلال سبع سنوات فقط ؟ .

ترى هل يمكن أن ينقلب الملاك الرقيق إلى شيطان قاس ، فى هذه الفترة القصيرة ؟ ..

أدهشه أنه قد أصبح يفكر فى (أميرة) طيلة الوقت تقريباً ..

بل إن خياله يرسم صورتها أمامه ، كأنما هو يراها بالفعل ..

يراها أمام مكتبه ، تتطلع إليه فى غضب ، و ..

كلاّ .. إنها ليست صورة وهميّة صنعها خياله ..

إنها (أميرة) نفسها ..

لقد انتزعته صيحتها الصارمة من أحلامه ، حينما هتفت فى حِدّة :

— أستاذ (ماهر) .. إننى أتحدث إليك منذ لحظات .

ارتجف جسده ارتجافة خفيّة ، لم يلحظها سواه ، حينما فاجأته صيحتها ، فتطلّع إليها لحظة فى دهشة ، ثم أجاب فى هدوء :

— ماذا تريدين يا آنسة (أميرة) ؟

دفعت أمامه ملفّاً ضخماً ، وهى تقول فى نبرة صارمة :

— أريد منك أن تقرأ هذا الملف جيداً ، وتعدّ لى تقريراً مختصراً عنه .

تصفح بعض أوراق الملف فى هدوء ، ثم أجاب :

— كما تأمرين يا آنسة (أميرة) .

حمل صوتها لهجة التحدى ، وهى تقول :

— وأريد هذا التقرير على مكتبى غداً .

رفع عينيه يتطلع إليها فى هدوء ، وقرأ نظرة التحدى فيهما واضحة ، فأجابها فى برود ، لا ينم أبداً عما يعتمل فى نفسه من غضب :

— لن يمكننى ذلك .

صاحت فى حَنَق :

— ماذا تقول ؟!

تألقت عيناه بنظرة شديدة الصرامة ، وهو يقول:

— أقول إننى لن أتمكن من ذلك ، فقراءة الملف وحدها تحتاج إلى ثلاثة أيام ، و ..

قاطعته بصرخة غاضبة :

— ستفعل ما آمرك به .

أشاح عنها بوجهه ، وهو يقول فى برود :

— لن يمكننى ذلك .

احتقن وجهها فى شدة ، وارتجف جسدها وهى تلوح فى وجهه بسبابتها ، وبدا من انفراج شفتيها أنها تنوى النطق بعبارة ما ، إلا أنها استدارت فجأة ، وغادرت الحجرة فى خطوات عصبية واسعة ، فتنهد (أيمن) فى صوت مسموع ، وقال (حسام) فى توتر :

ـ لماذا تفعل ذلك يا أستاذ (ماهر) ؟

عقد (ماهر) حاجبيه ، وهو يقول فى حدة :

ـ أفعل ماذا ؟ .. كل ما فعلته هو أنى كنت صريحاً معها ، وأخبرتها أن ما تطلبه منى مستحيل .

هتفت (كوثر) فى حماس :

ـ هذا حقك .

ولكن (حسام) اندفع يقول فى عصبية :

ـ لا تنس أنك قد تسلمت عملك منذ ثلاثة أيام فحسب ، وعقدك ينص على وجود فترة اختبار مدتها ستة أشهر ، والآنسة (أميرة) وحدها هى صاحبة الحق فى إنهاء عقدك فى أية لحظة ، لو رأت أنك غير كفء للعمل .

أشاح (ماهر) بوجهه ، وقال فى برود :

ـ فلتفعل ما يحلو لها .

لم يكد يتم عبارته حتى جاء عامل القسم ، وأخبره أن (أميرة) تريده فى مكتبها ، فغمغم (حسام) فى سخط :

ـ لقد كنت أتوقع ذلك .

أما (ماهر) فقد نهض فى هدوء ، وهو يقول :

ـ سأوافيها فى الحال .

وسار فى هدوء إلى مكتب (أميرة) ، ووقف أمامها ساكناً ، يتأملها فى برود فى حين حدجته هى بنفس النظرة النارية ، وهى تقول :

ـ أريد هذا التقرير على مكتبى غداً .

عاد يكرر فى برود :

ـ لن يمكننى ذلك .

لوحت بذراعها فى سخط ، وهى تقول :

ـ عليك أن تحاول .. إنك تتقاضى هنا مرتباً يفوق مرتب الحكومة بعشر مرات ، وعليك أن تبذل جهداً يساوى ذلك .

أجابها فى هدوء :

– إنجاز مثل هذا العمل بتلك السرعة ، سيؤدى إلى الإخلال به و ..

صاحت فى غضب :

– لست أحتاج إلى من يلقننى كيف أمارس عملى. لو أنك تشعر بعدم قدرتك على أداء العمل ، فلتتقدم باستقالتك ، وسأقبلها على الفور .

احتقن وجهه فى غضب ، وهو يقول فى صرامة :

– محال يا (أميرة) .. لن أتقدم باستقالتى أبداً .

صرخت فى ثورة :

– يمكننى أن أفصلك .

انعقد حاجباه فى قوة ، وهو يقول :

– فليكن .. ولكننى لن أتقدم باستقالتى أبداً .

ثم أردف فى لهجة تنطوى على أكبر قدر من التحدى .

– أبداً .

• • •

١٠ – الاعتراف ..

ظل (ماهر) صامتاً ، عاقداً حاجبيه طوال الطريق وهو يقلّ (كوثر) بسيارته إلى منزلها ، ولزمت هى الصمت بدورها ، وهى تتطلع إليه فى ألم وحزن ، حتى توقفت سيارته أمام منزلها ، فالتفتت إليه بعينين ملؤهما الحنان والحب ، وهى تقول :

– لا تبتئس هكذا يا (ماهر) .. إنها لن تنه عقدك من أجل ذلك .

ابتسم ابتسامة حزينة ، وهو يقول :

– هذا لا يقلقنى يا (كوثر) .. صدقينى .

ربتت على كفه فى حنان ، وهى تقول فى صوت خافت :

– انفض عنك كل هذا الحزن إذن .

غمغم فى همس حزين :

– سأحاول .

شعرت لحظتها بكراهية شديدة لـ (أميرة) ، لأنها

تسببت فى كل هذا الحزن المرتسم فى ملامح (ماهر) ، فهتفت فى سخط :

- إنها إنسانة سخيفة مغرورة و ..

قاطعها فى حدة :

- كلا يا (كوثر) .. لاتسيئى إليها بكلمة واحدة .

حدقت فى وجهه بدهشة ، وغمغمت فى جزع :

- يا إلهى !! .. هل يهمك أمرها إلى هذا الحد ؟

خفض عينيه ، وهو يقول فى ألم :

- أكثر مما يمكنك أن تتخيلى يا (كوثر) .

اتسعت عيناها فى ذعر ، وارتجفت شفتاها وهى تحاول أن تصرخ فى استنكار ، إلا أن قلبها الممزق حوّل صرختها المستنكرة إلى همس خافت ، يقطر بالحزن والمرارة ، وهى تغمغم :

- هل .. هل تحبها ؟

كان الجواب واضحاً جلياً فى عينيه وملامحه وصوته المتهدج ، إلا أنها تمنت من كل قلبها لو أنه أجابها

بالنفى ، ولكن إجابته جاءت لتهوى على أذنيها كصفعة قاسية ، حينما قال فى خفوت وحزن :

- نعم يا (كوثر) .. إننى أحبها .. أحبها منذ زمن طويل .. منذ كنا زميلين فى الكلية .

ترنحت (كوثر) من هول الاعتراف ، وتوقف قلبها لحظة ، وكأنه يرفض تصديق تلك الصدمة التى انتقلت إليه عبر عروقها ، ولكنه لم يلبث أن عاد يخفق فى قوة ، وهى تتمتم فى ذهول :

- تحبها ؟! ..

شعر بالعطف نحوها ، وأحزنه ذلك الألم الذى ارتسم على ملامحها ، وهى تستطرد فى انهيار :

- على الرغم من كل ما تفعله معك ؟!

رأى دمعة ألم تنحدر من عينيها ، فمد أنامله يجففها عن وجنتها فى رقة ، وهو يقول :

- آسف يا (كوثر) .. أنا أعلم مشاعرك نحوى ، ولكننى أكره أن أخدعك .

أمسكت كفه التى تجفف دموعها وهى تقول فى حزن :

- ولكنها لا تحبك .

وافقها بإماءة من رأسه ، وهو يغمغم فى ألم :

- أعلم ذلك يا (كوثر) ، ولكننى لا أستطيع منع قلبى من الخفقان باسمها .

تركت دموعها تنهمر ، وهى تقول :

- كم أحسدها ؟

غمغم فى ألم :

- وكم أشفق عليها !

رفعت عينيها الدامعتين إليه فى دهشة ، وهى تقول :

- تشفق عليها ؟!

- نعم يا (كوثر) .. صدقينى إن ما ترينه من (أميرة) لا يمثل حقيقتها ، إنها تفتعل كل هذا فى سبيل تحقيق طموحها .

- أى طموح هذا ؟!

- النجاح والثراء .

- ولكنها تدفع أنوثتها ثمناً لذلك .

- إنها لاتدرك هذا ، وربما كان ذلك سر إشفاقى عليها .

- وهل ستنتظر طيلة عمرك ، حتى تنتبه إلى خطئها ؟

- لقد انتظرتها طويلا ، ولن يضيرنى المزيد من الانتظار .

- حتى آخر العمر ؟!

- من يدرى ؟! ربما كان ذلك أقرب مما نتوقع .

- وماذا لو أنه لم يحدث أبداً ؟

- سأظل أنتظر إلى الأبد .

- وماذا لو أنها تزوجت ؟

جاء سؤالها الأخير كالصدمة ، فاتسعت عيناه فى جزع ، ثم ارتسم فيهما ألم رهيب ، وهو يحنى رأسه ، قائلا فى همس :

- حينئذ فقط ينتهى كل شىء .

لم تدر (كوثر) ماذا تقول أمام كل هذا ..

أتتمنى له مزيداً من الحزن ، بأن تتزوج (أميرة) ؟

أتدعو الله (سبحانه وتعالى) أن يبث فى قلب (أميرة) حب (ماهر) ؟

هل تحاول أن تقاتل للفــوز به ، على الرغم من اعترافه بحب (أميرة) ؟ ..

هل تستسلم وتنسحب ، لتفسح الطريق لـ (أميرة)؟

عادت تتطلع إلى كل ذلك الحزن المرتسم على وجهه ، وقرأت فيه انهيار أى أمل لها فى التسلل إلى قلبه ..

لقد كانت (أميرة) تحتل قلبه كله ، حتى أنها لم تترك فيه ركناً لغيرها ..

ولم يكن أمام (كوثر) إلا الاستسلام والرضوخ، فأطرقت برأسها ، وهى تغمغم فى انكسار :

— أتمنى لك السعادة يا (ماهر) .

ربتت على كفها فى حنان ، وهو يقول :

— أنا أيضاً أتمنى لك كل السعادة يا (كوثر) ، وأتمنى لك الزواج من الرجل الذى يحبك .

ابتسمت فى ألم ، وهى تقول :

— ولكنه يحب امرأة أخرى .

ارتسمت على شفتيه ابتسامة حانية ، وهو يقول :

— هناك رجل آخر ، يحمل لك فى قلبه كل الحب يا (كوثر) .

غمغمت فى دهشة :

— رجل آخر ؟! .

أومأ برأسه إيجاباً ، وهو يقول :

— نعم يا (كوثر) .. ومن العجيب أنك لم تشعرى بذلك من قبل .

سألته فى حيرة :

— من هو ؟

أجابها فى حنان :

— (أيمن) .

اتسعت عيناها فى دهشة ، وهى تهتف :

— (أيمن) ؟! .. (أيمن) يحبنى أنا ؟!

عاد يومئ برأسه إيجاباً ، وهو يقول :

— نعم يا (كوثر) ولو أنك لاحظت تلك النظرات المفعمة بالحب ، التى يرمقك بها دائماً ، وتلك النظرة الحزينة التى ترتسم فى عينيه ، حينما تتحدثين معى فى

همس ، أو ترافقيني في سيارتي ، لأدركت أنه غارق في حبك .

شردت ببصرها ، وهي تغمغم :

- (أيمن) يحبني ؟! .. يا لها من مفاجأة !!

ومسحت دموعها بأناملها في رقة وهي تبتسم قائلة :

- يا له من عالم عجيب ! .. (أيمن) يحبني ، وأنا أحبك ، وأنت تحب (أميرة) ، ولا أحد يدري من تحب (أميرة) ..

تنهّد في حزن ، وأطرق برأسه ، وهو يغمغم :

- نعم يا (كوثر) ، لا أحد يدري من تحب (أميرة) ، ومن يملك قلبها ..

ولم يكن هناك في الواقع من يملك قلب (أميرة) في هذه اللحظة بالذات ..

لقد كان ذلك الغلاف الجليدي الذي يحيط بقلبها قد أصبح أكثر سمكاً وصلابة ..

تصوُّرها الزائف لخيانة (ماهر) أعاد إلى قلبها برودة الثلج ، وإلى مشاعرها صلابة الفولاذ ..

وكان ذلك القلب البارد ينبض بالكراهية ، والرغبة في الانتقام ..

الانتقام من الرجل الذي يخفق قلبه بحبها ..

والانتقام عند المرأة أقوى وأكثر عمقاً من الحب .

ربما لأن الحب يملأ قلبها ، أما الانتقام فيملأ قلبها وعقلها معاً ، ويدفعها إلى التفكير والتخطيط والكيد ..

ولقد كان هذا ما يملأ عقل (أميرة) وقلبها في هذه اللحظة :

كانت تفكر في كيفية إذلال (ماهر) ، وإجباره على تقديم استقالته ..

كان يمكنها أن تفصله من عمله ، وتنهي عقده قبل أن تمضي الشهور الستة الأولى ، إلا أن هذا لم يكن ليمنحها الشعور بالظفر ، بل سيجعله يبدو كبطل شهيد ، كما أنها لن تستطع تفسير موقفها أمام مجلس إدارة الشركة ، وستبدو أمامهم في صورة قاسية متعنتة ، وقد يعوق هذا ترقياتها ونجاحها ..

سيعوق تقدمها في عملها ، الذي لم يعد لديها سواه ،

والذى قررت أن تغرق فيه نفسها ، فراراً من شعورها
بالألم والهزيمة ..
وانتبهت فجأة من أفكارها القاسية على صوت رنين
جرس منزلها ، فعقدت حاجبيها فى مزيج من الدهشة
والحيرة ، وهى تتساءل عمن يأتى لزيارتها فى ذلك الوقت..
وكانت شقيقتها (غادة) ..
وقابلتها (غادة) فى مرح ، وهى تقول :
— هل أيقظتك من نوم عميق ؟! .. إننى أقرع
الجرس منذ خمس دقائق .
أجابتها (أميرة) فى برود :
— لا .. لم أكن نائمة .
تطلعت (غادة) إلى شقيقتها فى حيرة ، وغمغمت
فى ارتباك :
— هل أتيت فى لحظة غير مناسبة ؟
ابتسمت (أميرة) ابتسامة باهتة ، وهى تقول :
— لا تقولى ذلك يا (غادة) .. مرحباً بك دائماً
وعلى الرحب والسعة .

ازدادت حيرة (غادة) أمام توتر شقيقتها وبرودها
وفكرت لحظة فى مغادرة منزلها ، إلا أن شعورها بالقلق
إزاء موقف شقيقتها جعلها تسألها فى صوت خافت قلق :
— كيف حال (ماهر) ؟
عقدت (أميرة) حاجبيها فى غضب ، وهى تقول
فى حدة :
— وما شأنى به ؟
اتسعت عينا (غادة) فى دهشة ، وهى تغمغم :
— ما شأنك به ؟!! .. عجباً !! .. لقد أخبرتنى
أمس الأول أنه ..
قاطعتها (أميرة) فى عصبية :
— كنت مخطئة ، ولا أحب سماع اسمه مرة أخرى.
تطلعت (غادة) إلى وجه شقيقتها فى إشفاق ، ثم
همست فى حزن :
— هل تشاجرتما ؟
صاحت (أميرة) فى استنكار :
— تشاجرنا ؟! لا يوجد بيننا مايستوجب الشجار .

تنهدت (غادة) ، وهى تقول فى حيرة :

– لست أفهمك يا (أميرة) .

أعادت إليها العبارة ذكرى حوار سابق مع (ماهر) فتفجّر فى أعماقها بركان من الغضب ، جعلها تقول فى حدّة :

– لماذا ترددون جميعاً هذه العبارة ؟ .. إننى إنسانة عادية ، ولست سرًّا غامضاً إلى هذا الحد .

عادت (غادة) تتنهد فى ضيق ، وهى تقول :

– حسناً يا (أميرة) .. لن أناقشك فى هذا الأمر مرة ثانية .

التقى حاجبا (أميرة) ، وهى تقول فى حدّة :

– ماذا تعنين ؟

غمغمت (غادة) فى ضيق :

– لا شىء يا (أميرة) .. لا شىء .

أمسكت (أميرة) ذراع شقيقتها فى عنف ، وهى تقول فى عصبية :

– لست أحب إنهاء المناقشات بهذا الأسلوب .

جذبت (غادة) ذراعها من يد أختها فى حدّة ، وهى تهتف فى غضب :

– كفى يا (أميرة) .. لست واحدة من موظفيك المساكين ، الذين تعاملينهم بكل القسوة والصرامة ، والذين نسيت أنوثتك من أجلهم .

سقطت العبارة فى قلب (أميرة) كالقنبلة ، فحدّقت فى وجه شقيقتها بدهشة ، وهى تغمغم فى ألم :

– نسيت أنوثتى ؟!

ارتبكت (غادة) ، وهى تشيح بوجهها ، قائلة :

– أنا آسفة يا (أميرة) .. آسفة .

ثم أسرعت تغادر شقة شقيقتها ، التى ظلت مسمّرة فى مكانها لحظة ، قبل أن تتحسس وجهها بأناملها ، وهى تردّد فى جزع :

– هل نسيت أنوثتى حقًّا ؟

ولم يكن هناك مفر من اعترافها بذلك ..

ويا له من اعتراف !!

• • •

١١ - أيام الحزن ..

مرَّ الأسبوع التالى بطيئاً متثاقلا بالنسبة للجميع ..

كانت (أميرة) تحاول مقاومة ذلك الشعور المؤلم بالضياع ، الذى انتابها منذ واجهتها شقيقتها بأنها تهمل أنوثتها ..

كانت تحاول مقاومته بمزيد من الانغماس فى العمل.

وبمزيد من الصرامة والقسوة ..

جزء كبير من هذه القسوة كان موجهاً إلى نفسها، وكأنها تعاقبها على ما أهملته فى حق نفسها ، والجزء الآخر كان يغذى رغبتها فى الثأر لقلبها الجريح ، فتمادى فى معاملة (ماهر) بمزيد من الحِدَّة ، والعصبية والتعنت ، وكأنها تعتبره المسئول الأول عما أصابها ..

ولكنها لم تحاول أبداً المساس بـ (كوثر) ..

كانت تعتقد أن أى محاولة منها لإيذاء (كوثر) ، ستبدو وكأنها نوع من الغيرة ..

وهى تكره أن تلتصق بها هذه الصفة ..

صحيح أنها تشعر بها قوية فى أعماقها ، وربما كانت هى السبب الرئيسى فى معاملتها لـ (ماهر) بصلف وخشونة ، إلا أنها كانت ترفض الاعتراف بها تماماً ..

ربما لأنها، أو لأن عقلها الباطن كان يعلم أن الغيرة صورة من صور الحب ، وأن شعورها بالغيرة يعنى اعترافاً منها بأنها مازالت تحب (ماهر) ، على الرغم من كل ما تحاوله للانتقام منه ..

ولكنها نسيت أن الكراهية أيضاً صورة من صور الحب ..

فلولا أنها تحب (ماهر) ، ما كرهت اهتمامه بـ (كوثر) ، وما عاقبته على ذلك ..

ولقد أصبح المنظار الطبى ، وشعر (أميرة) المعقوص خلف رأسها ، هما رمز صرامتها وحزمها ، حتى أن الحزم والصرامة يتلاشيان تماماً ، حينما ترفع منظارها عن عينيها ، أو تسدل شعرها على كتفيها ، كما لو أنها مصابة بنوع من انفصام الشخصية ، يحكمه مظهرها ..

أما (ماهر) فلم يفهم أبداً سر تعنت (أميرة) وقسوتها فى معاملته ..

لقد اعتاد أسلوب تعاملها الصارم ، ولكنه لم يفقد حبه لها أبداً ..

ربما لأنه يعلم أن واقعها يختلف ..

وربما لأن حبه العميق لها كان يهوّن له صلفها وعنادها ..

وعلى الرغم من إصرارها على معاملته بأسلوب سخيف طوال الوقت ، إلا أنه التزم فى تعامله معها أسلوباً مهذباً ، بسيطاً ، وكأنما يعلن لها عدم رغبته فى خوض قتال مع الإنسانة التى أحبها ..

وقرر هو الآخر إغراق أحزانه فى عمله ، فانهمك فيه حتى النخاع ، حتى أنه أثار إعجاب الجميع لنشاطه وبراعته ، وتضاعفت دهشتهم لإصرار (أميرة) على معاملته بهذا الأسلوب الفج ، حتى سرت بينهم شائعة عجيبة ، تقول إنها تخشى أن يحتل موقعها فى رياسة القسم .

وحدها (كوثر) كانت تعلم الحقيقة ..

صحيح أن (ماهر) لم يخبرها إلا بالجزء الذى يعلمه من الحقيقة ، ولكن غريزتها كأنثى جعلتها تفهم الجزء الباقى ..

وحدها فهمت أن (أميرة) تحب (ماهر)، ولكنها تعاقبه على شىء ما ..

لم يكن من الممكن أن تتصور أنها ذلك الشىء ، ولكنها كانت أقدر على فهم مشاعر (أميرة) ، ربما لأنها مثلها .. أنثى ..

وعلى الرغم من أنها لم تتصور ذلك ، إلا أن شيئاً ما جعلها تمتنع عن مرافقة (ماهر) فى سيارته ، كما كانت تفعل من قبل ..

ولقد كان هذا الشىء هو اهتمامها بـ (أيمن) ..

لقد بدأت تنتبه إلى اهتمامه بها ، وحبه الواضح لها، بعد أن أضاء إليها (ماهر) الطريق إلى ذلك ، وأدهشها أنها لم تلحظ ذلك من قبل ، فقد كانت كل ذرة فى كيان (أيمن) تعلن عن حبه وهيامه ..

وكم كانت سعادته حينما بدأت توليه اهتمامها ..

حتى (ماهر) شعر بالسعادة ، وهو يتابع اهتمامها بـ (أيمن) ، وسعادة هذا الأخير بذلك ، وبات واثقاً من أنه لن يمضِيَ وقت طويل ، قبل أن تزين دبلته أصابعها ..

ولقد أعاد هذا تفكيره إلى (أميرة) ، وإلى حلمه القديم فى أن تحتل دبلته أصابعها ..

ولكن ذلك الحلم بدا له فى تلك الأيام عسيراً ، بعيد المنال ..

بدا كسراب فى صحراء الحياة ، يجذب إليه الظمآن للحب مرات ومرات ، قبل أن يعلم حقيقته ، فلا يعود يتطلع إليه ، ويأمله ، بل يكتفى بمراقبته فى حسرة وألم ..

وراودته فكرة الاستقالة أكثر من مرة ، ولكنه كان يبادر بطردها من عقله ، فقد كان بقاؤه فى الشركة هو الأمل الوحيد لرؤية (أميرة) ..

وأخذ يتساءل : إلى متى سيحتمل كل هذا ؟..

إلى متى سيظل يحتفظ بـ (أميرة) فى قلبه ؟ ..

إلى متى سيواجه عواصفها من أجلها ؟ ..

هل سيمضى عمره كله ربانا شارداً فى بحار حب عاصف ، متقلب ، متلاطم الأمواج ، يمتلئ بالجراح ، والرياح ؟ ..

هل سيجد يوماً ذلك المرفأ ، الذى يبحث عنه ؟..

مرفأ الحب ؟ ..

اكتنفه اليأس وهو يسترجع كل مواقفه مع (أميرة) ، فأطلق من أعماق صدره تنهيدة قوية ، جعلت (سامح) ، و (أيمن) ، و (كوثر) يلتفتون إليه فى دهشة ، قبل أن يضحك (أيمن) فى مرح ، ويقول :

- يا إلهى !! .. لقد كادت تنهيدتك تلقى بى من فوق مكتبى .

ابتسم (ماهر) ، وهو يقول :

- لم أكن أظن أنفاسى قوية إلى هذا الحد .

مال (أيمن) على مكتبه ، وهو يقول فى لهجة مرحة :

- أتنهيدة يأس هى أم حب ؟

تسلل بعض الحزن إلى ابتسامة (ماهر) ، وهو يقول فى خفوت :

– بعض من هذا ، وبعض من ذاك .

هتف (أيمن) ضاحكاً :

– هو حب بائس إذن .

كان مرحه مؤلماً لـ (ماهر) ، فقد كان يعبر بمصطلحه عن حالته تماماً ، مما جعله يغمغم فى ضيق :

– لست أجد فى ذلك مدعاة للسخرية .

ارتبك (أيمن) مع تلك النظرة المستنكرة ، التى حدَجَتْه بها (كوثر) ، وغمغم فى تلعثم :

– إننى لم أقصد ذلك .

لوّح (ماهر) بكفه ، وهو يومئ برأسه متفهماً ، ويتمتم فى صوت خافت :

– لا عليك .. إنك لم تتجاوز الحقيقة .

بدا الأسف على وجه (أيمن) ، وشعرت (كوثر) ببعض الحنَق والإشفاق ، فى حين لم يرفع (حسام) وجهه عن أوراقه ، أو يحاول الاشتراك فى الحديث ،

وران على الجميع صمت ثقيل ، قطعه عامل القسم حينما جاء يدعو (ماهر) لمقابلة (أميرة) فى مكتبها ، وبدون تبادل كلمة واحدة ، نهض (ماهر) ، وغادر الحجرة فى هدوء ، فالتفتت (كوثر) إلى (أيمن) ، وهتفت فى حِدّة :

– لقد كنت سخيفاً .

اصطبغ وجهه بحمرة وردية ، وهو يغمغم فى أسف :

– لم أكن أقصد مضايقته .

تنهدت (كوثر) ، وهى تقول فى إشفاق :

– ولكنك فعلت .

واستطردت فى غمغمة خافتة ، وهى تعود إلى أوراقها :

– لا أحد يدرى ما يعانيه ذلك المسكين .

نعم .. لا أحد يدرى ما يعانيه (ماهر) ، وبالذات فى هذه اللحظة ..

لقد كان ذلك الهدوء البادى فى ملامحه ، يخفى عاصفة من التوتر فى أعماقه ..

إنها أول مرة تطلبه فيها (أميرة) فى مكتبها ، منذ أسبوع كامل ، وهو يتساءل مع كل خطوة عن سر دعوتها له .. ويشعر بقلبه ينبض فى قوة ؛ لأنه سيراها وحدهما ..

واختلج قلبه بالفعل حينما دخل مكتبها ، ووقف أمامها ، يملأ عينيه بملامحها الجميلة ، التى لم يفقد عشقه لها أبداً .. وجعلته نظراتها الصارمة يشعر بغصة فى حلقه وبضيق عجيب يسرى فى عروقه ، حتى أنه ظل صامتاً لحظات ، حينما سألته فى حِدّة :

— هل أنهيت التقارير التى طلبتها منك ؟

تنهد بعد فترة الصمت ، وأجابها فى هدوء :

— نعم .

بدا الغضب فى ملامحها ، وكأنها لم تكن تتوقع هذا الجواب ، وقالت فى عصبية :

— كلها ؟!

أجابها بنفس الهدوء :

— نعم .. أنجزتها كلها .

ضغطت أسنانها فى حنَق ، ثم قالت فى صرامة :

— سأراجعها كلها ، وستتعرض لجزاء شديد لو وجدت بها خطأً واحداً .

لا يدرى لِمَ عجز عن تحمل أسلوبها المتعنت هذه المرة ..

يبدو أنه لم يعد يحتمل هذه الحرب الباردة ، التى تشنها عليه (أميرة) من جانب واحد ..

لقد سألها فجأة فى توتر :

— ماذا تريدين بالضبط يا (أميرة) ؟

صاحت فى غضب :

— آنسة (أميرة) .

عقد حاجبيه فى غضب ، وهو يكرر سؤاله ، متجاهلاً ملحوظتها الصارمة :

— ماذا تريدين يا (أميرة) ؟

بادلته نظرة التحدّى ، وهى تقول :

— أريدك أن تتقدم باستقالتك .

سألها فى حِدّة :

– لمــاذا ؟

أطلق السؤال فى جسدها رجفـة قوية ، وبعث فى أعماقها برودة قاسية ، فقد كان آخر سؤال تتوقع أن يلقيه عليها ..

وارتبكت ..

ارتبكت، لأنه لم يكن فى استطاعتها إجابته بالسبب الحقيق لتعاملها معه بهذا التعنت والصلف ..

بل لم يكن فى استطاعتها اختلاق أى سبب منطق زائف ..

واحتبست الـكلمات فى حلقهــا ، وعجـزت عن النطق ، وهى تحدّق فى وجهه بعينين زائغتين ، حتى أنه عاد يسألها فى ألم :

– لماذا يا (أميرة) ؟

ترددت لحظة ، ثم هتفت فى حِدّة :

– ليس هذا من شأنك .

تألّقت تلك اللمحة الحزينة فى عينيه بقوة ، وهو

يتطلع إلى وجهها فى صمت ، وتحولت إلى نهر من الألم وهو يغمغم فى صوت خافت :

– حسناً يا (أميرة) .. لقد انتصرت .

لم تفهم معنى عبارته للوهلة الأولى ، فتمتمت فى مزيج من الدهشة والحيْرَة :

– انتصرت ؟!

أشاح بوجهه عنها ، وهو يقول فى ضيق :

– نعم يا (أميرة) .. لقد انتصرت فى تلك المعركة التى أشعلتها بلا مبرر ، وأنا أعلن هزيمتى بلا قيد أو شرط .

عادت تغمغم فى حيْرَة :

– هزيمتك ؟!

تنهّد فى ضيق ، وهو يقول :

– نعم .. سأترك لك قسم الحسابات، بل سأترك لك أرض المعركة كلها .. سأقدم استقالتى يا (أميرة) .

يا لغرابة النفس البشرية !! ..

لقد جاهدت (أميرة) وقاتلت ، حتى تحوز هذا النصر ..

حتى تهزم (ماهر) ، وتجبره على تقديم استقالته .

وها هو ذا يحقق لها النصر الذى تنشده ، ولكنها لم تشعر أبداً بشعور المقاتل الظافر ..

إنها تشعر بخليط من الحزن ، والألم ، والمرارة ..

خليط هو الهزيمة بعينها ..

ولقد تفجّر ذلك الشعور فى أعماقها ، وقفز إلى عينيها ، وهى تتطلّع إليه فى جزع وذعر ، حتى أنها كادت تلقى بنفسها بين ذراعيه ، وتبكى وهى ترجوه ألا يفعل ذلك ، وتتضرع إليه أن يبقى إلى جوارها ..

ولكن عنادها أبى عليها إلا أن تتماسك ، وتحاول منع دموعها ، التى تقاتل للقفز من عينيها ، وهى تقول :

— افعل ما يحلو لك .

ألقى عليها نظرة حزينة ، جعلت دموع قلبها تنهمر فى غزارة ، وهو يقول فى همس مؤلم :

— وداعاً يا (أميرة) .

ثم استدار ، واتجه إلى الباب فى خطوات واسعة ، وغادر حجرتها وهو يغلق بابها خلفه فى رفق ، وتركها تتطلع إلى الباب المغلق فى ألم ، قبل أن تطرق برأسها ، وتترك لدموعها العنان ، وهى تغمغم فى حزن عميق :

— وداعاً .. وداعاً يا (ماهر) .

• • •



١٢ ـ الفــــراق ..

لم تدر (أميرة) كيف أمكنها أن تحيا ، طوال ذلك الشهر ، الذى مرّ منذ ترك (ماهر) الشركة ..

لقد بدت لها الحياة كلها خاوية ، باردة ، جافة ..

لم تكن تتصور مقدار حبها لـ (ماهر) ، إلا حينما فارقها ..

هكذا نحن البشر دائماً ، لا يمكننا تقدير قيمة المشاعر إلا إذا افتقدناها » وخسرناها ..

لقد أصبح ذهابها إلى عملها روتينياً سخيفاً ثقيلاً ، وأصبحت هى إنسانة مختلفة ..

لم تعد رئيس القسم الصارم الجاف ..

عادت أنثى هادئة رقيقة ..

ربحت أنوثتها ، بعد أن فقدت حبيبها ..

وانعكس ذلك التغيير على أسلوب تعاملها مع موظفيها فى القسم ، فغدت تتعامل معهم فى هدوء وتفهم واهتمام ، أثار دهشتهم جميعاً فى البداية » ثم لم يلبث أن أثار سعادتهم فيما بعد ..

والعجيب أن ذلك الأسلوب الجديد أدّى إلى مزيد من النشاط والنجاح فى العمل ..

ولاحظت هى ذلك فى وضوح ، وتضاعف حزنها حينما كشفت أنها لم تكن أبداً بالنجاح الذى تتصوره ..

لقد كانت دوماً فاشلة ، قاسية بلا مبرر ..

كل ذلك لأنها كانت تسعى للنجاح والثراء ..

ولقد حازت ما كانت تسعى إليه، ولكنها لا تشعر أبداً بالسعادة لذلك ..

وطوال ذلك الشهر لم تنس أبداً وجه (ماهر) ، ولا تلك النظرة الحزينة فى عينيه ، وهو يودعها ..

تلك النظرة التى انتزعت منها الحياة » وتركتها جسداً بلا روح ..

وفى ذلك اليوم ، وبعد مرور شهر كامل على الفراق ، وفى أثناء توقفها بسيارتها أمام منزلها ، سمعت صوتاً يهتف فى فرح :

ـ (أميرة) .. كيف حالك ؟

التفتت إلى مصدر الصوت ، فطالعها وجه زميلة

دراستها (فاتن) ، وهى تتقدم إلى سيارتها فى خطوات ملؤها اللهفة ، ووجهها يتألق بابتسامة فرحة ، وهى تدفع أمامها طفلاً جميلاً فى السادسة من عمره ، وطفلة كالبدر فى الرابعة من عمرها ..

وغادرت (أميرة) سيارتها ، واحتضنت زميلتها القديمة فى سعادة ، وهى تهتف فى فرح :

– (فاتن) .. كيف حالك أنت ؟

ابتسمت (فاتن) ابتسامة صافية ، وهى تشير إلى الطفلين ، قائلة :

– فى خير حال والحمد لله .. لقد تزوجت (أشرف) بعد تخرجنا ، وأنجبنا (طارق) و(رانيا) .

داعبت (أميرة) رأس الطفلين فى حنان ، وعادت تسأل زميلتها :

– وكيف حال (أشرف) ؟ .. أين يعمل الآن ؟

– فى شركة لصنع الأثاث المنزلى .

– وأنت ؟!

– لقد استقلت من عملى .

اتسعت عينا (أميرة) فى دهشة ، وهى تهتف فى استنكار :

– استقلت ؟! .. لماذا يا (فاتن) ؟

تطلعت (فاتن) إلى طفليها فى حنان ، ثم أجابت بابتسامة صافية :

– العناية بـ (طارق) و (رانيا) تستغرق وقتى كله يا (أميرة) ، و (أشرف) لا يدخر جهداً لإسعادنا .

– وماذا عن طموحك وأحلامك ؟

– (أشرف) هو طموحى يا (أميرة) ، و (طارق) و (رانيا) هما أحلامى للمستقبل .

– وهل تقضين عمرك كله فى انتظار عودة زوجك من عمله ، وتعملين فى المنزل طيلة النهار كالخادمة ؟!

– لا يمكنك أن تتصورى تلك المتعة التى أشعر بها وأنا أعمل فى منزلى يا (أميرة) .. إننى لم أشعر أبداً أننى خادمة كما تتصورين ، بل أشعر دوماً أننى ملكة ، لها

مملكتها الخاصة ، التى تحرص دائماً على تنسيقها ، وترتيبها ، ومنحها مظهراً جميلا أنيقاً ، ثم تنتظر عودة زوجها من عمله ، لتمنحه حبها وحنانها ورعايتها، وتمحو بلمساتها الرقيقة عناء يومه الشاق .. صدقينى يا (أميرة) إننى لم أشعر لحظة واحدة بالندم على استقالتى .

كانت (أميرة) تستمع إليها وهى شاردة واجمة ، وخيالها يصور لها أنها زوجة لـ (ماهر) ، تحيا معه فى مملكتهما المشتركة ، وتنتظر عودته فى لهفة وسعادة ، لتغدق عليه فيض عواطفها الجياشة ..

وفى صوت خافت متخاذل ، تمتمت :

– وكل هذا العمر فى الدراسة والجامعة .. هل يذهب سدى ؟

ابتسمت (فاتن) فى حنان ، وهى تقول :

– بالعكس .. إنها تساعدنى على أن أكون زوجة متفهمة واعية ،يمكنها أن ترعى أبناءها بأسلوب متحضر راق ، وتبثهم معارفها وحنانها بالطريقة المثلى ، التى تحقق لهم النجاح .

ثم ضمت صغيريها إليها فى حنان ، وهى تستطرد :

– انظرى إلى (طارق) و (رانيا) يا (أميرة) أى طموح يفوقهما ؟

وأى نجاح يعلو عليهما ؟ ..

تطلعت (أميرة) إلى الصغيرين فى حنان ،وتسللت ابتساماتهما الطفولية إلى قلبها،وتشقق لها غلافهاالجليدى، وهى تغمغم :

– أنت على حق يا (فاتن) .. هذا هو النجاح الحقيقى .

ابتسمت لها (فاتن) ، وسألتها فى اهتمام :

– وأنت يا (أميرة) .. ماذا فعلت منذ تخرجنا ؟

تنهدت (أميرة) فى أسف، وهى تقول فى خفوت :

– لقد أصبحت رئيس قسم المحاسبة فى شركة كبرى .

هتفت (فاتن) فى فرح :

– رئيس قسم ؟ .. يا إلهى !! .. يبدو أنك قد نجحت فى حياتك العملية يا (أميرة) .

غمغمت (أميرة) فى حزن :

- نعم يا (فاتن) يبدو ذلك .

تبادلتا القبلات مرة أخرى فى حرارة ، وانصرفت (فاتن) وهى تحمل ابتسامتها الصافية فوق شفتيها ، وتمسك طفليها بكفيها فى حنان ، وتابعتها (أميرة) ببصرها فى حزن ، وقد تضاعف شعورها بالخسارة ..

وأخذت تسأل نفسها ، وهى تصعد إلى منزلها ، عما كان يمكن أن يحدث لو أنها تزوجت (ماهر) بعد تخرجهما ..

هل كانت ستستقيل من عملها ، وتكتفى بمنصب الزوجة المحبة الحنون ؟ ..

هل كانت ستنجب طفلين جميلين كطفلى (فاتن)؟.

هل كان ذلك سيكفيها ؟ ..

وجدت نفسها تجيب عن كل هذه الأسئلة بالإيجاب ، فيصل شعورها بالخسارة إلى ذروته ..

وأخذت تسأل نفسها فى ألم ..

ماذا ربحت ؟ ..

شقة أنيقة خالية ، وقلبًا جليديًّا باردًا ، ومنصبًا مخيفًا أورثها كراهية الجميع ..

وماذا خسرت فى المقابل ؟ ..

خسرت الحب ، والحنان ، والاستقرار ، والأمومة والسعادة ..

خسرت (ماهر) .. الرجل الوحيد الذى منحته قلبها ..

خسرت أنوثتها ورقتها وضعفها ..

لقد خسرت الكثير ، لتربح سرابًا واهيًا باهتًا ..

وأخذت تبكى ..

تبكى فى حرارة أذابت كل الجليد من قلبها ..

أذابته بعد فوات الأوان ..



١٢ ـ وعاد الأمل ..

عبرت (أميرة) حجرة سكرتيرتها ، فى اليوم التالى ، بعينين محمرتين من أثر بكائها الطويل فى الليلة الماضية ، واستقبلتها سكرتيرتها بابتسامة واسعة ، وهى تقول فى حرارة :

– صباح الخير يا آنسة (أميرة) .. كيف حالك؟

وبدت لها ابتسامة سكرتيرتها جيلة ذلك الصباح ، وتختلف كثيراً عن ذلك الوجه الجامد ، الذى كانت تستقبلها به من قبل ، حينما كانت تعاملها فى صرامة وحزم، فجاوبتها بابتسامة واهية ، وهى تقول فى رقة :

– فى خير حال يا (درية) .. كيف حالك أنت ؟

أجابتها السكرتيرة فى حرارة :

– إننى سعيدة برؤيتك يا آنسة (أميرة) .

كم هو جيل أن يتعامل الناس بذلك الأسلوب الرقيق الودود !! ..

كم تتبدل الحياة حينما ننظر إليها فى تفاؤل وارتياح !!

كم تملأ البهجة قلوبنا حينما نشعر بحب من حولنا !!

وأخذت (أميرة) تتساءل فى دهشة : كيف كانت تهمل كل ذلك من قبل ؟ ..

كيف كانت صارمة ، قاسية ، عنيفة طوال الوقت ؟ ..

وجلست خلف مكتبها تتأمل حجرتها الأنيقة فى شرود ، وهى تستنكر ذلك الثمن الذى دفعته لتفوز بها .

ذلك الثمن الباهظ من أنوثتها وعمرها وشبابها ..

واستغرقتها أفكارها الحزينة ، حتى سمعت صوت سكرتيرتها، عبر جهاز الاتصال الداخلى ، وهى تقول:

– الآنسة (كوثر) تطلب مقابلتك يا آنسة (أميرة).

وانتفضت (أميرة) فى قوة ، حينما سمعت اسم (كوثر) ..

لقد كانت وما زالت تعتقد أن (كوثر) هى غريمتها ، التى انتزعت منها قلب (ماهر) وحبه ..

كانت ومازالت تعتبرها السبب فى كل ما حدث .

ولكنها لم تعد تكرهها ..

لقد ذاب جليد قلبها ، فلم يعد فيه مكان للكراهية والغضب ..

وفى هدوء ، أجابت سكرتيرتها :

– دعيها تدخل يا (درية) .

وضغطت على عواطفها لتستقبل (كوثر) فى رحاب ، وهى تسألها :

– ماذا تريدين يا آنسة (كوثر) ؟

أجابتها (كوثر) فى هدوء :

– جئت أدعوك لحضور حفل خطبتى .

شحب وجه (أميرة) وهى تقول فى صوت مختنق :

– خطبتك ؟! ..

أجابتها (كوثر) فى هدوء ، دون أن تنتبه إلى ذلك الشحوب الذى اعتراها :

– نعم .. وسيشرفنى حضورك يا آنسة (أميرة) .

منعت (أميرة) دموعها فى صعوبة ، وهى تلتقط بطاقة الدعوة بأصابع مرتجفة ، وحاولت أن تبتسم وهى تغمغم فى صوت مرتعد :

– ألف مبروك يا آنسة (كوثر) .. بلغى تهانئى للأستاذ (ماهر) .

رفعت (كوثر) حاجبيها فى دهشة ، وهى تقول :

– الأستاذ (ماهر) ؟ .. وما شأنه بذلك ؟! .. ستتم خطبتى إلى زميلى (أيمن) .

اتسعت عينا (أميرة) ، وهى تهتف فى دهشة :

– (أيمن) ؟! .. ولكننى تصورت أن ..

عجزت عن إتمام عبارتها مع ذلك الشعور العجيب الذى تفجّر فجأة فى أعماقها ، فى حين ابتسمت (كوثر) ابتسامة باهتة ، وهى تقول :

– ماذا تصوّرت يا آنسة (أميرة) ؟

ارتبكت (أميرة) وهى تغمغم :

– لقد رأيتكما معاً ، وهو يستقبلك أمام باب منزلك ، ورأيتك تتأبطين ذراعه ، فتصورت أنكما ..

مرة أخرى عجزت عن نطق الكلمة الأخيرة ، وجاء دور (كوثر) لتتسع عيناها ، وهى تهتف :

– رأيتنا معاً .. إذن فهذا هو السر .

غمغمت (أميرة) فى انفعال :

ـ السر ؟! .. أى سر ؟

انتقل ذلك الانفعال إلى (كوثر) ، وهى تقول :

ـ سر معاملتك القاسية لـ (ماهر) .

نبضت عروق (أميرة) كلها بمزيج من الدهشة والحيرة ، وهى تتمتم :

ـ ماذا تعنين يا آنسة (كوثر) ؟

تنهدت (كوثر) فى أسف ، وقالت :

ـ يا إلهى !! .. كان ينبغى أن تتحقــق أولا يا آنسة(أميرة) .. لقد ظننت أننى و (ماهر)، متحابان، أليس كذلك ؟

ازداد ارتباك (أميرة) ودهشتها ، وهى تقول فى تلعثم :

ـ بلى .. لقــد ..

قاطعتها (كوثر) ، وهى تقول فى انفعال :

ـ خطأ يا آنسة (أميرة) .. خطأ ..

وتضرج وجهها بحمرة الخجل ، وهى تستطرد :

ـ لقد كان (ماهر) ينتظر فى أسفل منزلى ، لأنه يقطن البناية المجاورة ، ولأننى طلبت منه أن أشاركه سيارته ، وهو يأتى إلى هنا كل صباح ، ولقد تأبطت أنا ذراعه ، لأننى كنت ـ حينذاك ـ أحبه ، أما هو فلم يبادلنى ذلك الحب أبداً .

تسارعت أنفاس (أميرة) ، وهى تقول :

ـ أبداً ؟!

هزت (كوثر) رأسها نفياً ، وقالت :

ـ أبداً يا آنسة (أميرة) ، لأن قلبه كان يمتلئ بحب أخرى .

ونظرت فى عينى (أميرة) مباشرة، وهى تستطرد:

ـ يحبك أنت يا آنسة (أميرة) .

اختلج قلب (أميرة) اختلاجة قوية وهى تنكمش فى مقعدها ، مغمغمة :

ـ أنا ؟!

أومأت (كوثر) برأسها إيجاباً ، وهى تقول فى أسف :

– نعم يا آنسة (أميرة) .. إن (ماهر) لم يحب فى حياته كلها سواك ، ولقد كان هذا الحب يعذبه ، وأنت تصرين على معاملته بكل صلف وغطرسة وتعنت ، ولقد احتمل كل هذا لأنه يحبك، ولأنه يسعد برؤيتك، ولكنه فى النهاية لم يحتمل ، فترك لك الشركة ، وغادر أرض المعركة مدحوراً مهزوماً ..

تألقت الدموع فى عينى (أميرة) ، وازداد شحوبها وانكماشها فى مقعدها ، فى حين استطردت (كوثر) فى حزن :

– ليتك رأيته حينما قدم استقالته .. لقد بدا أقرب الى الموت منه إلى الحياة .. بدا شاحباً، ذابلا كمن فقد آخر أمل له فى الحياة .

تركت (أميرة) دموعها تبلل وجهها ، وهى تردد فى ذهول :

– (ماهر) يحبنى .. يحبنى أنا .

ثم قفزت من مقعدها فجأة ، واحتضنت (كوثر) فى حرارة ، وهى تهتف :

– كيف يمكننى أن أشكرك يا (كوثر) .. لقد أعدت إلىّ حياتى كلها .

ترقرقت دموع (كوثر) أمام انفعال (أميرة) الجيّاش ، وغمغمت فى فرح :

– ماذا ستفعلين يا آنسة (أميرة) ؟

أطلقت (أميرة) ضحكة صافية ، وقالت :

– ماذا تتصورين أن أفعل ؟ .. سأذهب إليه بالطبع .. سأرجوه الصفح ، ولنتم معاً ما تبقى من عمرينا ..

هتفت (كوثر) فى فرح :

– وفقكما الله .. وفقكما الله .

وأسرعت تغادر مكتب (أميرة) ، ودموعها تبلل وجهها ، فى حين وقفت (أميرة) أمام تلك المرآة الصغيرة فى حجرتها ، ونزعت منظارها عن عينيها ، وتأملته لحظة ، ثم قالت فى هدوء :

– وداعاً أيها المنظار السخيف .. لم أعد أحتاج إليك .

وألقته أرضاً ، وهشمته بحذائها فى قوة ، ثم تنهدت فى ارتياح ، وابتسمت فى سعادة ، وهى تحل مشبك شعرها ، وتتركه لينسدل على كتفيها ، وألقت المشبك من النافذة المجاورة للمرآة ، وكأنها تعلن انتهاء شخصية (أميرة) الصارمة ، وعودة تلك الرقيقة الحانية ..

عودة الأنثى التى افتقدتها طويلا ..

واختطفت ورقة من فوق مكتبها ، وأخذت تخط عليها كلمات فى سرعة ، ثم أسرعت إلى مكتب سكرتيرتها التى اتسعت عيناها فى دهشة ، وهى تهتف :

ـ آنسة (أميرة) .. إنك تبدين بارعة الحسن .

تهللت أسارير (أميرة) فى فرح ، وناولتها الورقة وهى تقول :

ـ قدمى هذه الورقة لرئيس مجلس إدارة الشركة يا (درية) ، وصدقينى .. هذا آخر ما سأطلبه منك .

ألقت (درية) نظرة على الورقة ، واتسعت عيناها فى ذهول ، وهى تهتف :

ـ استقالتك ؟! .. ولكن لماذا ؟ .. لقد كنا نتوقع ..

ولكن عبارتها لم تكتمل أبداً ، فقد احتضنتها (أميرة) ، وقبلتها فى سعادة ، وهى تقول :

ـ سأنتظر زياراتك يا صديقتى العزيزة .

ثم أسرعت تغادر المكتب فى خطوات كالوثب ، والسعادة تتألق فى كل خلجة من خلجاتها ، والجميع يتابعونها فى دهشة وانبهار ، وبعضهم يتساءل عمن تكون تلك الفاتنة ، التى لم يلمحها أحدهم فى أروقة الشركة من قبل ..

وقفزت هى إلى سيارتها ، وانطلقت بها فى لهفة ، وقلبها يخفق فى عنف ..

أخيراً ستتذوق الحب ..

أخيراً ستجد الاستقرار الذى افتقدته طويلا ..

يا لروعة تلك الحرارة التى تشعر بها فى قلبها !!

حرارة الحب واللهفة !!

ولقد بدا لها الطريق طويلا ، حتى لقد خيل إليها

أنها قد استغرقت دهراً ، قبل أن تتوقف سيارتها أمام منزل (ماهر) ، وقفزت منها فى لهفة ، وأسرعت إلى البواب تسأله فى انفعال :

— أين يسكن الأستاذ (ماهر) ؟

أجابها البواب فى هدوء :

— فى الطابق الثالث ، ولكنه ليس هنا .. لقد سافر .

توقف خفقان قلبها فجأة ، وهى تسأله فى جزع :

— سافر ؟! .. إلى أين ؟

جاءت إجابته كالصفعة :

— سافر إلى (السعودية) .. لقد حصل على عقد عمل هناك لخمس سنوات .

■ ■ ■



١٤ — الحياة .. الحب ..

ترنحت (أميرة) كأنما قد تلقت صفعة قوية قاسية ، وشحب وجهها حتى بدا وكأنه يخلو من دماء الحياة ، وأثار ما أصابها ذعر البواب وجزعه ، فهتف فى توتر :

— ماذا أصابك يا سيدتى ؟

تعلقت بذراعه ، وهى تسأله فى صوت مختنق مرتعد :

— متى ؟ .. متى سافر ؟

أجابها البواب فى جزع :

— لقد أخبرنى أنه سيغادر القاهرة فى طائرة العاشرة والنصف إلى الرياض اليوم .

تطلعت إلى ساعتها فى لهفة ، ثم هتفت فى انفعال :

— إنها التاسعة والنصف ، مازالت أمامى ساعة كاملة .. مازال هناك أمل .

ورفع البواب حاجبيه فى دهشة ، حينما رأى تلك

الفتاة الشاحبة ، التى كانت تترنح أمامه منذ لحظة واحدة ، وقد تحولت إلى شعلة من النشاط ، وهى تقفز إلى سيارتها ، وتنطلق بها فى سرعة ، وهى تردد فى انفعال :

– مازال هناك أمل .. مازال هناك أمل .

وفى نفس اللحظة التى رددت هى فيها ذلك النداء ، كان (ماهر) يستمع فى حزن إلى صوت المضيفة الأرضية ، وهى تقول :

– على السادة ركاب طائرة مصر للطيران ، المتجهة إلى (الرياض) ، الاستعداد لإنهاء الإجراءات قبل التوجه إلى الطائرة .

وتنهد وهو يلتقط حقيبته الصغيرة ، ويتطلع فى حزن إلى أركان المطار من حوله ..

كان يشعر بألم بالغ ، لأنه سيترك تلك الأرض التى نما فيها وترعرع ..

سيترك الوطن الذى شهد حياته وحبه ..

سيترك (أميرة) ، التى لم ولن يحب سواها ..

وانبعثت من أعماقه آهة أسف وهو يغمغم فى حسرة :

– (أميرة) !!

نعم .. كل ما كان يملأ قلبه فى هذه اللحظة هو (أميرة) ..

(أميرة) التى قتلت حبها دون أن تشعر ..

(أميرة) التى سبحت خلف سراب وهمى ، ولم تكتشف زيفه إلا حينما أصبح الشاطئ بعيداً .. بعيداً ..

(أميرة) التى تكاد تبكى الآن ، وتتضرع إلى إشارة مرور ضوئية ، حتى تضىء ضوءها الأخضر ، وتسمح لها بالانطلاق ، على أمل اللحاق بـ (ماهر) ..

يا لسخرية القدر !!

لقد أضاعت (أميرة) من عمرها السنوات والشهور والأيام، وها هى ذى تتضرع من أجل الدقائق والثوانى..

وتلك الدقائق والثوانى تبدو وكأنما أصابها مس من الجنون ، فعقرب الثوانى يعدو .. ويعدو ، ليلتهم الدقائق فى شراهة وسرعة ، وقلبها يتسارع معه ، وينبض فى عنف وقلق ، وثورة ..

وأضاءت الإشارة بالضوء الأخضر ، وعادت تنطلق بسيارتها ، وهى تلقى نظرة بالغة القلق على ساعتها التى أشارت عقاربها إلى تمام العاشرة ..

لم يعد باقياً أمامها إلا نصف الساعة ..

نصف الساعة فقط ..

يا إلهى !! .. كم أضاعت من أنصاف الساعات ، ومن الساعات والأيام ..

ووجدت نفسها تهتف فى ضراعة :

– لا تتركنى يا (ماهر) .. أرجوك .. لا تتركنى .

ليته يستمع إلى ندائها ..

ليت قلبه يشعر بما يكابده قلبها ..

ولكن قلبه كان يمتلئ بحزن يحجب عنه مشاعرها ، وهو يقف أمام ضابط الأمن ، الذى فحص جواز سفره فى اهتمام ، وسأله فى لهجة روتينية :

– هل تسافر للعمل ؟

أجابه فى صوت خافت حزين :

– نعم .

أعاد إليه ضابط الأمن جواز سفره ، وهو يسأله :

– ولكن لماذا لا تحاول البحث عن فرص عمل هنا ؟

غمغم (ماهر) فى ألم :

– لقد حاولت وفشلت .

لم يكن من عادة ضابط الأمن أن يتبادل الحديث مع المسافرين ، إلا أن تلك اللمحة الحزينة فى عينى (ماهر) مست شيئاً ما فى أعماقه ، فعاد يسأله فى إشفاق :

– وهل ستتغيب طويلا ؟

ابتسم (ماهر) ابتسامة حزينة ، وهو يقول :

– نعم .. طويلا جداً .

تأمله ضابط الأمن لحظة فى عطف ، ثم منحه ابتسامة ودوداً ، وهو يغمغم :

– وفقك الله .

وكان توفيق الله (سبحانه وتعالى) هو أكثر ما يحتاج إليه (ماهر) فى أزمته ..

أزمته العاطفية ، التي دفعته للتخلي عن حبه .. عن (أميرة) ..

(أميرة) التي كانت تبكي في هذه اللحظة بدموع حقيقية ، وهي تطلق أبواق سيارتها في ألم ، في إشارة مرور حمراء ثانية ..

لم تكن تتصور أبداً أن القاهرة تزدحم بكل هذا القدر من السيارات ، وإشارات المرور ..

لم تكن قد انتبهت إلى ذلك أبداً من قبل ..

وتمنت لحظتها لو أنها وجدت هاتفاً قريباً ، لتتصل بالمطار ، وتطلب منهم إخبار (ماهر) أنها في طريقها إليه ، وترجوهم أن يحاولوا إقناعه بالعدول عن السفر .

وواصلت عقارب الساعة عدوَها الجنوني ، وهتفت في أعماقها في ضراعة :

— توقف أيها الزمن .. كن رحيماً بقلب محب .. توقف .. توقف ..

ولكن هيهات ..

سيظل الزمن يمضي ويمضي ، وسيلتهم كل شيء

في طريقه كوحش دموي شرس لا يرحم ولا ينتظر ..

وأطلقت المضيفة الأرضية نداءها الأخير :

— على السادة ركاب طائرة مصر للطيران ، المتجهة إلى (الرياض) سرعة التوجه إلى الطائرة .

وتلفت (ماهر) في جزع ..

كان يتمنى لو أنه رأى (أميرة) في هذه اللحظة ..

لو أنه فقط رأى وجهها لألقى جواز سفره ، وتذكرة الطائرة ..

لألقى كل شيء من أجلها ..

واستعرضت عيناه الوجوه في لهفة ويأس ، ثم أطرق برأسه ، وغمغم في أسف وحزن وألم :

— وداعاً يا (أميرة) .. وداعاً يا حبي .

وتوقفت سيارة (أميرة) أخيراً أمام المطار ، وقفزت هي منها ، وانطلقت تعدو داخله ، وتشبثت بذراع موظف الاستقبال ، وهي تهتف في لهفة :

— هل رحلت طائرة السعودية ؟

أدهشته لهفتها ، وشحوبها ، وجزعها ، فهتف فى ارتباك :

– تقصدين طائرة (الرياض) ، التى تقلع فى العاشرة والنصف .

هتفت فى لهفة ، وهى تلهث من فرط الانفعال :

– نعم .. نعم .. هل رحلت ؟

اكتسى وجهه بالأسف ، وهو يقول :

– للأسف يا سيدتى .. لقد رحلت منذ دقيقة واحدة .

تراخت أصابعها الممسكة بذراعه ، وغارت الدماء من وجهها ، وهى تغمغم فى ألم ويأس :

– رحلت !!

أشار بسبابته إلى السماء ، وهو يقول :

– ها هى ذى .. آسف يا سيدتى .. لقد تأخرت دقيقة واحدة .

رفعت عينيها إلى الطائرة بكل ذلك الإحباط الذى يملأ نفسها ، وتابعتها ببصرها وهى تشق الهواء ، وتبتعد

وتصغر ، وعبارة موظف الاستقبال الأخيرة تتردد فى عقلها وقلبها بقوة ..

لقد تأخرت دقيقة واحدة ..

دقيقة واحدة !! .. يالسخرية القدر !!

لقد ضاعت أحلام عمرها كله من أجل دقيقة واحدة ..

وتراخت ساقاها ، واكتنفها دوار قوى ، وخيل إليها أنها ستسقط فاقدة الوعى ..

ولكن لا ..

لقد قاتلت طويلا لتحارب (ماهر) وتهزمه ، ولن تتقاعس هذه المرة ، وهى تحارب من أجله ..

من أجل حبه ..

من أجل قلبه ..

وانحدرت من عينيها الدموع ، وهى تتابع الطائرة التى تبتعد ، وتبتعد ..

إنها لن تستسلم ..

لن تيئس ..

إن العالم لم ينته بعد ..
إنه لم يذهب إلى دنيا أخرى ..
ستواصل رحلتها خلفه ..
سترسل إليه برقية على الطائرة ، ترجوه فيها أن يعود من أجلها ..
من أجل حبهما ..
وستنتظره ..
ستنتظره ولو قضت ما تبقى من عمرها حتى يعود .
وسيلتقيان ..
سيلتقيان بعد أن عاد الحب ..
وذاب الجليد .

* * *

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع : ٧٨٤٨



السلسلة الوحيدة التى لا يجد الأب
أو الأم حرجا من وجودها بالمنزل

المؤلف



د. نبيل فاروق

وذاب الجليد

عاشت (أميرة) شبابها كله فى دوامة
الطموح، وجاهدت لتصل إلى أرفع المناصب،
ثم التقت بحبها القديم (ماهر).. جمعهما العمل،
وعادت بهما الذكريات إلى أيام الحب، ولكن (أميرة)
كانت قد أحاطت قلبها بغلاف جليدى، حتى
لا يعوقها الحب عن تحقيق طموحاتها.. فهل
تستسلم لحبها؟.. وهل يذوب الجليد؟..



الثمن فى مصر
وما يعادل دولارا أمريكيا فى سائر الدول العربية والعالم